AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2164) - السنة (52) جمادى الآخرة 1443هـ / 1 فبراير 2022م

- ذكرى التحرير.. وحاجتنا لمؤتمر جدة شعبي آخر
- مفتي القدس لـ«المجتمع»: الكويت تقود معركة الدفاع عن القدس بالمحافل الدولية
- د. حسن الشافعي: «جائزة الملك فيصل» تقدير معنوي عظيم وتبرعت بقيمتها لخدمة الدين

وسائل التواصل.. سلاح ذو حدين!

كيف نحمي قيمنا؟

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

mugtama magazine

موقع

المجتمع

اشترك أو جدد

المجتمع

داخل الكويت: 10 د.ك

الدول العربية: 17 د.ك

الدول الأجنبية: 25 د.ك

المؤسسات والشركات: 30 د.ك

شاملة عمولة التحويل

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2164) - (السنة 52)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390هـ - 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم حمد القحطاني

نائب رئيس التحرير:

مرزوق فليج الحربي

مدير التحرير:

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني:

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة - الرمز البريدي (13049)

التحرير

22514180 - 22519539

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560523 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

القيم.. وحماية المجتمع

- الكويت.. تاريخ ممتد من العطاء الإنساني قاد لتحرير البلاد من الغزو العراقي 6
- الكويت وأفريقيا.. علاقات تاريخية وطدها العمل الإنساني 14
- الأزمة الأوكرانية.. أجواء الحرب تخيم على أوروبا 32
- د. الشافعي: «جائزة الملك فيصل» تقدير معنوي عظيم وتبرعت بقيمتها لخدمة الدين 42
- هل نهى النبي ﷺ عن كتابة الحديث؟ وما توجيه ذلك؟ 54
- د. صلاح الخالدي.. رجل الدعوة والقرآن وصاحب سيد قطب 58

مقالات

«الخارجية» الكويتية.. عودة موفقة للريادة — سعد النشوان — 17

الدعاة.. وعالمية الإسلام — د. عامر البوسلامة — 50

ما وراء تهاوي ثقة الصهاينة بجيشهم؟ — د. صالح النعامي — 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

آية العدد

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

(آل عمران: 103)

ذكرى التحرير..
وحاجتنا لمؤتمر جدة شعبي آخر

أهم الأحداث الشعبية التي حصلت أثناء فترة الغزو العراقي الغاشم مؤتمر جدة الشعبي في أكتوبر 1990م، حيث تجمع أهل الكويت في المنفى بتياراتهم وقبائلهم وعوائلهم وطوائفهم دعماً للشرعية الكويتية، وتجديد الولاء والبيعة لأسرة الحكم على ميثاق الدستور والشريعة الإسلامية، وكان هذا أصدق مثال للروح الكويتية، ورسالة للعالم بأن أهل الكويت؛ قيادة وشعباً، كيان واحد وأسرة واحدة؛ وهذا ما ساعد في تكوين تحالف دولي لتحرير الكويت.

اليوم نحتاج هذه الروح التي عشناها في تلك الفترة، ونحتاج إلى الإجماع الشعبي، ونحتاج إلى روح الأسرة.. منذ سنوات ونحن نعيش تجاذبات سياسية عطّلت التنمية، وأشغلت الناس بصراعات سياسية ونيابية.

اليوم نحن في أمسّ الحاجة لمؤتمر وطني، فنقاط الاتفاق أكثر من نقاط الخلاف، وما نجتمع عليه يفوق ما نختلف فيه.. اليوم يجب أن نراجع أموراً تناسيناها من كثرة الأزمات السياسية التي مررنا بها، وجعلتنا نتراجع في مؤشرات التنمية والتعليم والإصلاح السياسي والحريات السياسية وحرية التعبير، وأصبحنا مضرب مثل في الفساد وتعطل التنمية، وسبقتنا جميع الدول المحيطة بنا والتي كنا نعتبر مضرب مثل لها.

اليوم نحتاج مؤتمراً وطنياً شعبياً لحل الكثير من القضايا العالقة التي كانت سبباً في تدني المستوى العام للدولة، ومن هذه القضايا التي يجب أن نسارع في حلها قضية «البدون» المكلفة إنسانياً ودولياً، التي وضعت الكويت في مؤشرات متدنية في سجلات حقوق الإنسان، ويجب حل قضية الإسكان التي توفرت لها الحلول، ولكن العقول البيروقراطية ترفض التطوير، وتستمر في سلوك طرق خاطئة فاقمت من المشكلة، وحل قضية التعليم وتدني مخرجاته، ونحتاج لحل قضية التركيبة السكانية التي قد تؤدي لضياع الهوية الوطنية، ومن أهم المشكلات التي تحتاج لحل قضية حماية الطبقة الوسطى، وعدم ضياعها بين القرارات الحكومية السلبية وجشع التجار وتدخلهم بتوجيه القرار السياسي لمحو هذه الطبقة.

كل هذه القضايا أساسية وعميقة، ومن شأنها أن تعيد للكويت رونقها، وهي قضايا لا تقوم بها الحكومة وحدها ولا المجلس وحده، هذه قضايا أمة.. نحتاج إلى مؤتمر وطني تدعى له كافة القوى الوطنية، ويشترك فيه جميع أصحاب القرار.

نحتاج اليوم أن نعيد مشهد مؤتمر جدة الشعبي الذي كان أحد أسباب تحرير الكويت والتفاف الشعب حول قيادته، ولكن هذه المرة ليس من أجل طرد الغزاة، بل من أجل طرد الفساد والطبقية والقبلية والفئوية وتعزيز قيم المواطنة وتحقيق الإصلاح السياسي والشفافية وإنجاز التنمية.

ومثل ما نجح مؤتمر جدة، نتمنى أن يكون هناك مؤتمر وطني شعبي ناجح.■

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر :
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :725111 / ف : 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

إعداد-
سيف الدين باكير:

الكويت.. تاريخ ممتد من العطاء الإنساني قاد لتحرير البلاد من الغزو العراقي الغاشم

يحيي الكويتيون في السادس والعشرين من فبراير الجاري الذكرى الـ31 لتحرير بلادهم من الغزو العراقي الغاشم الذي لا تزال آثاره محفورة في وجدانهم إلى اليوم.

وكان لأبطال التحرير دور بارز في كسب تأييد المجتمع الدولي لتحرير الكويت، فضلاً عن الجهود الدبلوماسية المتميزة التي قادها الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد لحشد التأييد والدعم العالمي للحق الكويتي وإدانة العدوان الغاشم.

في المقابل، لم يقف المجتمع الدولي صامتاً أمام هذا الحدث الجلل، بل أدان جريمة النظام العراقي السابق في حق الكويت، وأصدر مجلس الأمن الدولي قرارات حاسمة بدءاً بالقرار رقم (660) الذي طالب نظام «صدام» حينها بالانسحاب فوراً من الكويت، إضافة إلى حزمة قرارات أصدرها المجلس تحت بند «الفصل السابع» من الميثاق، والقاضية باستخدام القوة لضمان تطبيق تلك القرارات.

كما صدرت الكثير من المواقف العربية والدولية التي تدين النظام العراقي السابق وتطالبه بالانسحاب الفوري من الأراضي الكويتية، وتحمله المسؤولية عما لحق بالكويت من أضرار ناجمة عن عدوانه.

ويستذكر الكويتيون خلال تلك الفترة الإدارة الحكيمة للأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد، والأمير الوالد الراحل الشيخ سعد العبدالله، والأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الذي كان يشغل حينها منصب نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية، فضلاً عن التأييد الشعبي، ولا سيما من أبناء الكويت الصامدين في الداخل، الذي كان له الدور البارز والكبير في كسب تأييد المجتمع الدولي لتحرير البلاد من براثن الغزو العراقي.

تعاطف عالمي

وعلى مر التاريخ، اكتسبت الكويت سمعة طيبة عالمياً بكونها من أكثر الدول نشاطاً بالعمل الخيري في مختلف أنحاء العالم، وكسبت تعاطفاً عالمياً أثناء الغزو العراقي الغاشم لدورها الإنساني والخيري، وما قدمته الجمعيات والمبرات واللجان الخيرية من دعم متواصل للكثير من المشاريع الإنسانية في قارتي آسيا وأفريقيا، والأيادي الخيرة التي امتدت للكثير من المحتاجين في أصقاع الأرض، ولا سيما أثناء المجاعات والكوارث الطبيعية.

وحول ذلك، قال رئيس مركز الكويت لتوثيق العمل الإنساني (فنار) د. خالد الشطي لـ«المجتمع»: عُرفت الكويت عبر تاريخها الممتد لمئات السنين بعملها الإنساني ومساعدتها للمنكوبين والمحتاجين، رغم قلة إمكاناتها قديماً.

وأضاف أن الكويت استمرت في عطائها بعد ظهور النفط وزيادة الإيرادات، فقدمت مساعدات حكومية من خلال الصندوق الكويتي للتنمية ووزارات ومؤسسات الدولة الرسمية المتنوعة، مشيراً إلى أن مساعداتها وصلت لأكثر من 100 دولة.

ومن أبرز المساعدات الأهلية التي قدمتها الكويت ما قامت به جمعية العون المباشر وجهود د. عبدالرحمن السميط، يرحمه الله تعالى، الذي كانت له مساعدات كبيرة لأغلب دول قارة أفريقيا، إضافة لدور جمعية الهلال الأحمر الكويتية الإنساني المتميز عند النكبات والكوارث، وفق الشطي.

وتطرق الشطي إلى دور الجمعيات الخيرية في تنفيذ العديد من المشاريع التنموية والتعليمية والإغاثية لدول العالم، إضافة إلى الجهود الأهلية التي كانت تقدم لأغلب الدول والشعوب، مبيناً أن ذلك ساهم في تكوين علاقات متميزة بين الكويت وتلك الدول والشعوب؛ وهو ما أدى إلى وقوفها مع الحق الكويتي والشرعية الدولية، والمساهمة بفعالية للمشاركة في تحرير الكويت من خلال مواقفها الإيجابية ومشاركتها مع الأمم المتحدة للمطالبة بتحريرها وإرجاعها إلى أهلها، ودعوة النظام العراقي الغاشم آنذاك للخروج من البلاد والاعتراف بسيادة دولة الكويت.

وأشار إلى استمرار الكويت في عطائها الإنساني بعد تحريرها

اكتسبت سمعة عالمية وتعاطفاً واسعاً لدورها الإنساني في مختلف أنحاء العالم

د. الشطي: عُرفت عبر تاريخها بعملها الإنساني رغم قلة إمكاناتها قديماً

الأمير الراحل الشيخ جابر رحمه الله قاد جهوداً عظيمة لحشد التأييد الدولي لتحرير البلاد

لتعزز من علاقاتها مع الدول، حتى أصبحت اليوم مركزاً عالمياً للعمل الإنساني، وأميرها الراحل الشيخ صباح الأحمد قائداً عالمياً للعمل الإنساني بترشيح من الأمم المتحدة.

روح المبادرة

في كتابه «روح المبادرة في كويت الماضي»، ذكر رئيس اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية الكويتية د. عبدالمحسن الخرافي أن روح المبادرة حاضرة عند أهل الكويت قديماً وحديثاً تأثراً بروح المبادرة في الإسلام.

وأوضح الخرافي، في مؤلفه، أن المجتمع الكويتي استمد أخلاقه من روح الإسلام ومن جوهر الشريعة الإسلامية، فكان ذلك هو الأساس الذي نبعت منه روح المبادرة في كويت العطاء والفزعة.

وبين أن أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، ثم هدي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ثم التأثر بسلف الأمة الصالح النبراس الذي استمد منه أهل الكويت روح المبادرة وخُلق المسارعة والنجدة والإقدام.

وقال الخرافي: لقد قدم أهل الكويت دروساً عدة في هذه الأزمة التي حلت بهم، حيث تجلت فيهم أسمى معاني الوطنية والوحدة حتى تحولت المحنة إلى منحة إلهية، تمثلت ثمارها في الالتفاف الشعبي حول قضية واحدة لها هدف واحد ألا وهو تحرير البلاد، مضيفاً أنها جعلت المجتمع الكويتي بأسره؛ حكومة وشعباً، يتكاتف يداً بيد ليظهر للعالم كله حقه الشرعي في استعادة أرضه المحتلة ووطنه المسلوب.

ولم تتوانَ الكويت في ممارسة دورها التنموي على مستوى العالم، من خلال قيام الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية بدوره، سواء التمويل، أو متابعة تنفيذ الاتفاقيات الموقعة قبل مرحلة الغزو العراقي للكويت عام 1990م.

على مدار العقود الستة الماضية، أدى الصندوق الكويتي دوراً بارزاً في خدمة أهداف سياسة دولة الكويت الخارجية، فقام بمساعدة الدول العربية، ومنها العراق، في تنفيذ مشروعات تنموية بغية تحقيق التنمية المستدامة.

ولم يتوقف الصندوق عن القيام بدوره حتى إبان فترة الغزو، فرغم الظروف الصعبة التي مرت بها الكويت، آنذاك، فإنه واصل أعماله في تقديم الدعم للدول، والوفاء بالتزاماته تجاهها، متحدياً الغزو والدمار، ووقع 7 اتفاقيات قروض جديدة بقيمة 87 مليون دينار.

وبرزت أهمية المردود السياسي للصندوق الكويتي للتنمية خلال فترة الغزو العراقي لدولة الكويت في عام 1990م، فقد جنت الكويت ثمار مساعداتها عبر الصندوق في ذلك العام عندما هبَّ المجتمع الدولي لنجدتها والدفاع عنها، وتبينت أهمية السياسات الخارجية الكويتية، التي جعلت العديد من دول العالم تقف إلى جانب الحق الكويتي وتناصره.■

حاوره- سعد النشوان:

أعده للنشر- حسن القباني:

العم فيصل الفايز في حوار عن ذكريات التحرير والأَسْر لـ«المجتمع»:

لم نستفد من دروس الغزو على المستوى الحكومي أو الشعبي

تعيش الكويت كل عام في هذه الأيام ذكرى عزيزة وغالية على كل كويتي؛ ألا وهي ذكرى التحرير من الغزو العراقي الغاشم الذي يفخر كل كويتي شارك فيه ولو بنصيب ضئيل.

وفي هذا الإطار، نستقبل العم فيصل الفايز (بوراشد) الذي كان في أتون الأحداث، وكان أسيراً لدى النظام العراقي، في حوار لـ«المجتمع»، يضع فيه يده على الأمل الذي ولد من رحم الألم ويسترجع هذه اللحظات الوطنية الخالدة.

فرحتنا بالحرب الجوية كانت عارمة نبتهج بأصوات القصف ونحزن لتوقفها

كنا في الأسر 80 إنساناً بمساحة فصل مدرسي ولم يعطونا إلا مقداراً قليلاً من الماء و6 بيضات!

● بداية، نرحب بكم في هذا الحوار بذكرى التحرير من الغزو العراقي الغاشم الذي دهم الكويت قبل 31 عاماً، وأنتم مررتم بجزء كبير من الأحداث، كيف تتذكرون هذه اللحظات؟

- بداية، مرحباً بكم، مجلة «المجتمع» حاضرة دائماً بيننا، فلكم الشكر والتحية.

أما عن يوم الغزو، فقد كان بالنسبة لنا صدمة كبيرة، وأتذكر يومها أنني كنت خرجت للدوام، فاعترضتنا دورية شرطة كويتية وطالبتنا بالرجوع بسبب دخول جيش العراق البلاد، ورجعنا ونحن في ذهول لا نعرف هل نصدق ما سمعنا أم لا! وسمعنا صوت الطائرات وكانت صدمة كبيرة؛ لا دوامات ولا خروج من البيوت.

● كيف تصف يوميات الغزو باختصار؟

- بكل صراحة، كانت يوميات عصيبة، والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى بارك خير البلد، فقد كانت هناك بيوت فيها خير ولديها ما يكفيها، وفتحت الأسواق وقضينا حاجاتنا من الجمعيات، ثم بعد فترة قصيرة من الغزو صعب أمر التنقل، وبدأنا نستخرج تصاريح عدم تعرض، وخرجت في رفقة أحد الإخوة الذين استخرجوا عدم تعرض حيث كنا نتسوق حاجات الناس ونبيعها بنفس ثمنها.

وأغلقت الجمعيات بعد فترة، ثم فتحنا جمعية شرق مع الأخ الكريم جوهر المقرون، بالاتفاق مع اتحاد الجمعيات، وبدأنا نبيع ما فيها من مخزون دون وجود وارد من الخارج.

● جمعيات ولجان التكافل كيف كانت تعمل في هذه الأوقات؟ وهل لكم دور فيها؟

- كانت تعمل على خير وجه، كان الإخوة يحضرون لنا الأموال ونحن نوزعها على العوائل حسب أعدادها، وكنا نفرقها على الكويتيين وغير الكويتيين، بل أعطينا بعض العراقيين الذين كانوا يسكنون معنا منذ فترات طويلة، ولم نبخل على أحد، ولم نكن ندع أحداً يحس بألم أو جوع، ولم نجعل أحداً محتاجاً.

● **في 16 يناير 1991م، بدأت الحرب الجوية، صف لنا المشهد؟**

– كانت فرحتنا عارمة بفضل الله تعالى، نسمع أصوات القصف ونفرح بها، وعندما تقف نحزن، وكانت أصوات الصواريخ تسعدنا، وكانت هناك باخرة تطلق صواريخ مدوية فنسعد بذلك ولم تكن ترعبنا.

وفي أثناء القصف، وقبل التحرير، تم أسري واعتقالي.

● **كيف كان الأسر معك؟**

– في نهاية يناير 1991م تقريباً تم أسري، وكنت في طريقي لتهنئة أحد الإخوة من الأندلس بعد خروجه من الأسر، ومشيت في سيارة مع أحد الذين لديهم تصريح عدم اعتراض، ولكن فوجئت بأنهم اعترضوني أنا وأطلقوا سراح من معي وابنته، وتم أخذي دون سبب، ولم يعرفوني ولم يكن لنا نشاط إلا النشاط الخيري، وأرسلوني إلى سجن الأحداث، ثم نقلوني معصوب العينين إلى سجن بوصخير، ثم أرسلوني إلى بغداد، ثم الموصل، ثم الرمادي، ثم خرجنا، وكأننا في جولة، لكنها كانت جولة مريرة بكل معنى الكلمة.

● **سجن الأحداث كان مرعباً، بحسب شهادات من دخله أيام الغزو، فماذا حدث لكم به؟**

– كان مرعباً جداً، وكنا 80 إنساناً في مساحة فصل دراسي واحد، ولم يعطونا إلا مقداراً قليلاً من الماء، ولما طلبنا الطعام أخذوا أموالنا وأحضروا 6 بيضات لنا جميعاً! وشعرنا بالإهانة، كان ذلك تعذيباً نفسياً دون ضرب أو اعتداء أو تحقيق.

ثم ذهبنا معصوبي الأعين إلى البصرة، وجلسنا يوماً لا نأكل إلا القليل من التمر، وفي الطريق شربنا مياهاً غير نقية، ثم ذهبنا إلى السجن، وجاؤوا لنا بتمر قليل، وكنا نشكو من الجوع حتى أكلنا قشر البرتقال الذي يوزع علينا بين الحين والآخر، وكان معنا الشيخ خالد الجاسر الذي كان يقول: هذا ألذ برتقال أكلته في حياتي، وكان صادقاً في قوله، فالجوع له تأثير كبير يجعل أي شيء له طعم مختلف.

ثم ذهبنا إلى سجن بغداد، ثم سجن الموصل، وكان الجو قارس البرودة ومظلماً دون كهرباء، ولكن تغلبنا على ذلك بأنشطة عديدة، منها السمر والبرنامج الإيماني والخواطر والأشعار، ونتذكر الشيخ خالد القصار، ود. عادل الصبيحي، ود. محسن الصالحي، والوالد أحمد العدساني الوزير السابق الذي نصحنا عند خروجنا قائلاً: نحن علينا واجب البناء والتكاتف بعد اندحار الغزو.

وذهبنا إلى الرمادي حتى التحرير، ولم يكن لدينا زيارات، ولم يكن يدري أحد من أهلنا عنا شيئاً، كأننا مفقودون، ووجدنا بعض المصابين الكويتيين الذين خضعوا للتعذيب.

الجمعيات أثناء الغزو عملت على خير وجه وكان الإخوة يحضرون لنا الأموال لتوزيعها على العوائل

كان يجب أن تكون الاستفادة من التحرير أكبر من ذلك بالرجوع لله تعالى وتقديم خدمات أفضل للشعب

● **هل كان الغزو «عراقياً» أم «صدامياً»؟**

– مما رأيناه كان غزواً «عراقياً» وليس «صدَّامياً» فقط، ولكن كنا إذا التقينا بأحد العراقيين منفرداً وشعر بالأمان يقول: نعرف أنكم مظلومون.

● **كيف عشت لحظات الإفراج عنك؟**

– كأنه يوم الزفاف إلى العروس، كانت لحظات لا تنسى، لقد رأينا الموت بأنفسنا، كان الجوع والموت يحاصراننا كل وقت، وكأنهم لا يعرفون للرحمة طريقاً، وكأنها انتزعت من صدورهم.

ولقد قلت شعراً في خروجي من فرط مشاعري، رغم أنني ليست شاعراً، وحرصت على تنبيه الجميع في مذياع طائرة العودة بأهمية السجود وقت الرجوع وقد كان، وكان مشهداً خالداً.

● **بعد 31 عاماً من التحرير، هل استفادت الكويت من درس الغزو؟**

– مع الأسف، لم نستفد على القدر الحكومي والشعبي، كان يجب أن تكون الاستفادة أكبر من ذلك، كان علينا الرجوع إلى الله تعالى والحمد والشكر، وتذكير أن الحكومة مستمرة، فالتحرير كان عظيماً، ولذلك يجب أن يكون الشكر عظيماً.

وعلى مستوى الحكومة، كان يجب أن تكون الخدمات أفضل، نعم توجد، ولكن يجب أن يكون هناك المزيد، كويت نفخر بها لها الريادة على جميع المستويات.

● **يقول البعض: إن الجيل الجديد ربما يحتاج إلى «هزة» للتصحيح، ما رأيك؟**

– لا نحتاج هزة، بل نحتاج أن تتعاهد الحكومة الأجيال الصاعدة بالتربية والعلم، وغداً سيكون أفضل.

● **كلمة أخيرة.**

– نشكركم على كرم الاستضافة، فكم من مؤثرين في هذه الأحداث لا يتكلمون! وكم من غير مؤثرين باتوا أبطالاً وتصدروا ولم يكونوا جزءاً من المعاناة!■

حوار - سعد النشوان:

ينسب لرجل الأعمال الكويتي محمد الشارخ الفضل في إدخال اللغة العربية إلى الحواسيب لأول مرة في التاريخ، وذلك في حقبة الثمانينيات، مستعيناً بالعالم المصري د. نبيل علي الذي وضع أسس وقواعد اللغة العربية ومكّنَتها بالحاسوب؛ فالشارخ هو مؤسس ورئيس مجلس إدارة شركة «صخر» لبرامج الحاسب عام 1982م كشركة تابعة لمجموعة شركات «العالمية»؛ حيث خصص الشارخ كل جهوده لبنائها منذ عام 1980م؛ ويعد كمبيوتر صخر من أوائل الحاسبات التي تستخدم اللغة العربية.

ولجهوده في خدمة اللغة العربية وحوسبتها نال الشارخ العديد من الجوائز والأوسمة، التي توجت عام 2021م بفوزه بجائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام، وبمناسبة حصوله على الجائزة التقت «المجتمع» محمد الشارخ في هذا الحوار لتوثيق تجربته في تأسيس شركة «صخر»، والوقوف على طموحاته في هذا المجال.

محمد الشارخ مؤسس شركة «صخر» لبرامج الحاسب الآلي لـ «المجتمع»:

جمعنا بين الاهتمام باللغة كأصالة والتقنية كواقع مستجد

● بداية، نرحب بكم في هذا الحوار، ونرجو إلقاء الضوء عن بداية مشواركم مع العمل في مجال الكمبيوتر قبل عام 1982م.

- في أوائل السبعينيات كنت عضو مجلس إدارة البنك الدولي في واشنطن، وفي ذلك الوقت وضعوا في مكاتبنا لأول مرة أجهزة الكمبيوتر الشخصي، حينها شعرت أن هذا الجهاز وهذه التقنية لا بد من طريقة لتعريبها كي تخدم اللغة العربية، ومن ثم قمنا بإطلاق مشروعنا عام 1982م، وبدأنا في منطقة الجابرية هنا بالكويت كمكان صغير في البداية، ثم تطور العمل وبدأ المشروع يكبر؛ لأن المجتمع العربي كان متطلعاً للتقنية، وقد شاهدت هذا التعطش لمنتج «صخر» حينما كنت في العاصمة العراقية بغداد، وفوجئت بطابور طويل يقف منتظراً أجهزة «صخر»، ورأيت حجم الإقبال الكبير وقتها، وحمدت الله على هذا الأمر.

فكرة المشروع نبتت حينما تعاملت مع الحاسوب بواشنطن ففكرت في تعريبه

كافة لقاءات القمم العربية نجد شعار الاهتمام باللغة العربية دون دعمه بتشريع

● فيما يخص تعريب الكمبيوتر، كيف بدأتم هذه الخطوة؟

- اللغة العربية لها خصوصياتها التي لا تجدها في لغات أخرى مثل التشكيل أو الاشتقاق، وطبعاً هذه الأمور تحتاج إلى معالجات معينة، عندما ظهر الكمبيوتر ظهرت لغة جديدة للتعامل معه تسمى اللغويات الرياضية، وهي التي تأخذ القواعد وتحولها إلى معادلات رياضية يفهمها الكمبيوتر، وبالنسبة للغة العربية ليس هناك لغة أخرى في العالم الحرف الواحد منها يحتمل 5 احتمالات؛ «الشدة، الفتحة، الكسرة، الضمة، السكون»، فكيف نجعل الكمبيوتر يفهم هذه الأشياء، أول خطوة قمنا باستدعاء سيدة من بريطانيا ساعدتنا في كيفية عمل البرامج، ثم انضم إلينا د. نبيل علي من جمهورية مصر العربية، وكان لديه المقدرة على المثابرة، ولم يكن يخشى الصعوبات، وأرسلناه في بعثة لمدة سنة إلى الولايات المتحدة كي يتمكن من تعريب لغة الكمبيوتر.

كنا نهدف أن نعيد ثقافة المجتمع كي يحترم لغته ويتعلم استخدام المعجم مثل اللغات الأخرى، خاصة أن التحدث بلغات غير العربية هو التيار بحكم أن هذه اللغات أصبحت لغة العلوم والصناعة، ولكن لا بد أن يلتفت أحد إلى لغتنا؛ فلا بد من إعادة الاعتبار لهذه اللغة، وهذا ما حاولنا فعله.

● طموحاتك عند تأسيس شركة «صخر» من قبل، وطموحاتك الآن، هل تتطلع إلى مشروع يتم تبنيه حالياً على مستوى الدولة أو الدول في المشاريع التي تهتم بها؟

– مشروع جهاز صخر بدأ عام 1982م، يعني الآن 40 سنة، وهي تعتبر عمراً؛ فأنا لي مشروع وهو إعادة الاعتبار للغة العربية، وتحديث العربية، فهذا علم جديد نحن في حاجة له بسبب الكمبيوتر، فأنا قبل 40 عاماً كان اهتمامي أن أزود السوق تدريجياً بمنتجات خاصة باللغة العربية، وقريباً سنطرح في السوق «المصحح الآلي»، ودوره أن يقوم بالتصحيح وراءك أثناء الكتابة بنسبة دقة إملائياً 90% تقريباً، ونحوياً 75%، تزداد تدريجياً بعد نحو سنة؛ يعني أنه لا بد أن يستمر التطوير.

مستخدمو الإنترنت العرب نحو 350 مليون شخص، فيهم نسبة معتبرة من طلبة الجامعات والصحفيين والباحثين، وهؤلاء جميعاً في حاجة إلى مراجع لغوي، مثلاً في «الأهرام» هناك 50 مصححاً، وهذه كلفة كبيرة على المؤسسة، وقس على ذلك في كل المؤسسات، لكن مع هذا الجهاز فهؤلاء الخمسون يمكن أن يصبحوا خمسة؛ فالعالم اليوم يتواصل بوسائل جديدة، وهؤلاء لا بد لهم من أدوات تضمن لهم الكتابة السليمة، وهذا ما نسعى له، وحتى يتم هذا فلا بد من تشريعات.

كافة لقاءات القمم العربية أو الخليجية أو مكتب التربية لدول الخليج في كل اجتماعات الوزراء تجد شعار الاهتمام باللغة العربية، دون دعمه بقانون أو بتشريع يحقق هذا على أرض الواقع، وفي أغلب دول العالم بعد أن ينهي الطالب المرحلة الثانوية وقبل الدراسة الجامعية يخوض امتحاناً في اللغة، لكن للأسف يتخرج في بلادنا المهندس والطبيب ولا يجيد اللغة العربية، وهذا غير منطقي، إلا أن هذا لن يتم إلا بتشريع ينص –مثلاً– على امتحان في اللغة العربية قبل المرحلة الجامعية.

● ما أهم الصعوبات التي واجهتكم في إنشاء شركة «صخر»؟

– أهم صعوبتين تقبل المجتمع العربي فكرة أن توفر شركة عربية تقنية حديثة، وكانوا يسألون: هل «صخر» شركة يابانية وأنتم وكلاؤها؟ فلم يكونوا مقتنعين أن شركة «صخر» يمكن أن تكون شركة عربية تقدم هذه التقنية.

من اليسار رئيس التحرير ومحمد الشارخ والزميل سعد النشوان

ثاني الصعوبات البيروقراطية وأجهزة الدولة، التي لا تقبل الريادة من القطاع الخاص، يريدون كل منتج ناجح أن يأتي من عندهم، وهذا في كل الدول العربية، للأسف ليس هناك تشجيع.

● أصدرتم أرشيف «المجلات الثقافية»، وأصبحتم ملهمين لكثير من القطاعات التي كانت تصدر مجلات، ما قصة هذا الأرشيف؟

– في الخمسينيات والستينيات كنت أقرأ مجلات معينة، لكن اليوم ومع الإنترنت أصبح واضحاً لي أن هذه فرصة ذهبية للعرب بأن يجمعوا كل مجلاتهم في موقع واحد، لكن كانت لديَّ قناعة بأنه لن تأخذ هذه المبادرة أي دولة، فقمنا بعمل هذا الأرشيف في نحو أكثر من مليوني صفحة، وهو متاح للجميع مجاناً للاطلاع، لأن هذه في نظرنا ذاكرة للأمة، فالمجلة تسبق الكتاب في طرح الآراء، فأي صاحب رأي أو مؤلف أو أستاذ جامعي أولاً يكتب أفكاره ومقالاته في الصحف والمجلات المتخصصة، فتظهر الفكرة وتتم مناقشتها، ثم لاحقاً تطرح في كتاب، فأن تجلس في بيتك وتقرأ مجلات صدرت في الثلاثينيات في موريتانيا أو الموصل أو غيرهما فهي نعمة وإنجاز.

سنطرح في السوق «المصحح الآلي» الذي يقوم بالتصحيح أثناء الكتابة بنسبة دقة إملائياً 90% ونحوياً 75%

أطمح بمؤسسة أو وقف باسم «الشارخ» تتبناه الدولة على غرار جمعية العون المباشر

● فوزكم بجائزة الملك «فيصل لخدمة الإسلام» (عام 2021م)، ماذا تمثل لك هذه الجائزة؟

– تعني لي شيئين؛ أولاً: التكريم وأنا على قيد الحياة أسعدني، فنحن تعودنا أن يتم التكريم بعد الوفاة، ويعني تقديراً للجهد الذي قمنا به طوال هذه السنوات، ومن ناحية أخرى أن هذا طريق صحيح وسليم فأكمل وأستمر.

● ما أمنيتكم الخاصة بمستقبل اللغة العربية في ظل عالم الكمبيوتر؟

– في رأيي أن حماية الإسلام تكون بحماية اللغة العربية؛ لأنها هي الحاضنة للإسلام وعلومه.

وأتأمل وأطمح أنه على غرار جمعية العون المباشر للدكتور عبدالرحمن السميط، رحمه الله تعالى، أو مؤسسة البابطين؛ أن تكون هناك مؤسسة أو وقف باسم «الشارخ»، تتبناه الدولة، وأنا هنا أتكلم من منطلق مطالبة مجتمعية، لأن مؤسسة «الشارخ» من خلال شركة «صخر» جمعت بين الاهتمام باللغة كعراقة وأصالة والاهتمام بالتقنية كواقع مستجد مستمر، فجمعت بين الأصالة والمعاصرة.■

مفتي القدس والديار الفلسطينية الشيخ محمد حسين لـ«المجتمع»:

الكويت تقود معركة الدفاع عن القدس بالمحافل الدولية وتمثل عمقاً للشعب الفلسطيني

فلسطين المحتلة- محمد سالم:

مخططات الاحتلال لن تقف أمام حضارتنا التي تنطق بعروبة وإسلامية القدس

أشاد مفتي القدس والديار الفلسطينية الشيخ محمد حسين بالدور العظيم الذي تقوده دولة الكويت في الدفاع عن القدس ومقدساتها والقضية الفلسطينية في كل المحافل العربية والإسلامية والدولية، وإبراز اسم فلسطين وقضيتها العادلة في كل مكان بالعالم، وفضح جرائم الاحتلال الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني، وقيادة لواء الدفاع عن المسجد الأقصى المبارك في كل مكان، مؤكداً أن الكويت لها مكانة كبيرة في قلوب الشعب الفلسطيني، لافتاً إلى أن القدس ستبقى محافظة على صبغتها العربية والإسلامية على الرغم من ضخامة المخططات التهويدية والاستيطانية، التي تهدف لتغيير وجهها الحضاري الإسلامي، داعياً كل الأحرار للتدخل العاجل لإنقاذ القدس من براثن التهويد التي وصلت لمراحل خطيرة، وسيفشلها الشعب الفلسطيني بصموده ومقاومته.

في هذا الحوار مع «المجتمع»، يتحدث مفتي القدس والديار الفلسطينية الشيخ محمد حسين عما وصلت له مخططات التهويد في القدس و«الأقصى»، وعن مقاومة الشعب الفلسطيني لها، ودور الكويت الريادي في رفع لواء الدفاع عن «الأقصى» في كل المحافل الدولية.

● من الواضح أن هناك تسارعاً في وتيرة عمليات التهويد بالقدس ومحيط «الأقصى»، حدثنا عنها.

– ما يجري في المسجد الأقصى المبارك والقدس من عمليات تهويد واستيطان صهيونية، الهدف منه بسط مزيد من السيطرة، وتغيير الوجه العربي الإسلامي في القدس؛ وذلك لإيجاد صورة أخرى لها في أذهان العالم، من خلال ما تقوم به قوات الاحتلال الصهيوني من منشآت تهويدية واستيطانية والغريبة تماماً عن الوجه المعروف بإسلامية القدس، ويحاول الصهاينة منذ عام 1967م العمل لتغيير الديمغرافيا والجغرافيا والتاريخ والحضارة لمدينة القدس.

● كيف ترى واقع القدس التي لها رمزية عند كل العرب والمسلمين والعالم أجمع في ظل ما يجري فيها؟

– كل الإجراءات الصهيونية والمصادقة على إقامة أكثر من 20 ألف وحدة استيطانية وإقامة منشآت تهويدية ضخمة؛ تهدف لتغيير مساحة وجغرافية القدس، وكل هذه المخططات مصيرها الفشل، ولن تقف أمام هذه الحضارة التي تنطق بعروبة وإسلامية القدس بكل مظاهرها، ومعالمها ومبانيها الظاهرة للعيان، التي تمثلها هذه المدينة الكنعانية ثم الإسلامية، والقدس مقدسة عند كل مسلم وعربي، وكل هذا العمق الديني والحضاري لا يمكن تغييره أو محاولات طمسه.

● هناك أحزمة استيطانية باتت تحيط بـ«الأقصى» بالتزامن مع الحفريات الضخمة، حدثنا عنها.

– تطويق «الأقصى» بالأحزمة الاستيطانية سياسة الاحتلال الصهيوني، وذلك لحجبه ومحاصرته، ولا شك أن الاحتلال قام بإحاطة البلدة القديمة و«الأقصى» بعشرات البؤر الاستيطانية، وكذلك بما يسمى بـ«الحدائق التوراتية»، وما يطلق عليه «مدينة داود»، كل هذا يهدف لتغيير الصبغة الحضارية لـ«الأقصى»، والعمل على التهجير والتطهير العرقي في أحياء الشيخ جراح ووادي الجوز ورأس العامود والعيسوية وسلوان، وإحاطة المنطقة بالمستوطنات، وإنشاء مستوطنات في جنوب القدس بمنطقة جبل المكبر وبيت صفافا، والمنطقة العازلة بين بيت ساحور والقدس، وإنشاء مستوطنة فيها «جبل أبو غنيم»، وإقامة حزام استيطاني شرق القدس وصولاً للبحر الميت.

كل هذا الهدف منه إغراق القدس بالمستوطنات، وهي ستبقى غريبة عن تاريخ وحضارة مدينة القدس وأهلها الذين يحافظون على قدسيتها وعروبتها، ورغم كل المضايقات فالقدس وأهلها يسطرون ملحمة صمود أسطورية، وما زالت القدس عامرة بوجودها العربي والإسلامي وكل مقدساتها، ولذا يجب على العالم إنصاف الحق الفلسطيني الراسخ في التاريخ والحضارة.

● لوحظ تصاعد في وتيرة استهداف سدنة «الأقصى» ودائرة الأوقاف الإسلامية من اعتقالات وإبعاد، ما سبب ذلك؟

– هناك تعمد للاعتداء على سدنة «الأقصى» والعاملين فيه، وهو أمر مستهدف حيث يحاول الصهاينة أن يرسخوا ما يسمى مصطلح «جبل الهيكل» المزعوم، وهو بالمناسبة مكان «الأقصى»، في محاولة فاشلة لمسح اسم «الأقصى» من ذاكرة العالم والاستيلاء عليه لإقامة هذا الهيكل المزعوم، وهناك استهداف كذلك لـ«الأقصى» بمعالمه وحراسه، والدائرة القائمة عليه، وهي دائرة الأوقاف الإسلامية، من خلال مضايقة العاملين فيها واعتقالهم وحتى إبعادهم عن القدس، ولجان الإعمار في المسجد واعتقال الكثير منهم وإبعادهم وتعطيل أعمالهم لفرض حقائق جديدة، وتغيير وظيفة «الأقصى» الذي يفديه الجميع بأرواحهم وقلوبهم، و«الأقصى» رمز عقائدي ديني تاريخي حضاري، وسيكون أبناء فلسطين في الطليعة لحمايته بكل ما أوتوا من قوة.

الاحتلال أحاط البلدة القديمة بعشرات البؤر الاستيطانية لتغيير الصبغة الحضارية

الحفريات التي تجاوزت 78 نفقاً بمحيط «الأقصى» وتحته تؤثر على أساساته

الشعب الفلسطيني يقدر الكويت ويُكن احتراماً لقيادتها وشعبها

● هناك تعطيل لعمليات الترميم في «الأقصى»، لو حدثتنا عنها.

– الاستهداف الصهيوني المباشر يعطل التطوير والترميم في «الأقصى»، ومحاولة التدخل في عمل دائرة الأوقاف الإسلامية لفرض وقائع جديدة، وكذلك الاستمرار في مسلسل الحفريات التي تجاوزت 78 نفقاً في محيط المسجد وتحته تؤثر على أساسات وأسواره والأبنية التاريخية والحضارية في البلدة القديمة بالقدس، التي تحمل ذاكرة الحضارة العربية والإسلامية، وكذلك تغيير الأسماء العربية والإسلامية إلى اللغة العبرية، وهدم المباني والمنشآت التاريخية، وكل ذلك لن يغير من إسلامية وعروبة القدس.

● للكويت دور بارز في خدمة القضية الفلسطينية والدفاع عنها، ما الرسالة التي تود إرسالها؛ أميراً وحكومة وشعباً، من باحات الأقصى؟

– ننظر للكويت بتقدير واعتزاز، ولكل مواقفها الرسمية والشعبية مع القضية الفلسطينية، ونشكرها أميراً وحكومة وشعباً، ونشكر كذلك مجلس الأمة الكويتي الذي كرَّس الكثير من وقته للدفاع عن فلسطين ومقدساتها في كل المحافل البرلمانية العربية والدولية، فالكويت ينظر لها الشعب الفلسطيني بكل مكوناته بكل حب وتقدير لقيادتها لواء الدفاع عن القدس وفلسطين في كل المحافل الدولية، وتقديم الدعم اللامحدود للشعب الفلسطيني لتعزيز صموده، وهي عمق حقيقي للقدس ومقدساتها، فلها من القدس وأهلها وفلسطين كل الشكر والتقدير.■

روضة علي عبدالغفار
صحفية متخصصة في الشأن الأفريقي

في 25 فبراير الجاري، تحتفل دولة الكويت بمرور 61 عاماً على استقلالها عن بريطانيا، ومنذ استقلال الكويت إلى وقتنا هذا؛ شهدت البلاد إنجازات ونمواً كبيراً في كافة المجالات سواء على المستوى الداخلي والخارجي.

لكن علاقة الكويت بالقارة الأفريقية كانت مختلفة نوعاً ما عن غيرها؛ فقد قطعت العلاقات الكويتية الأفريقية شوطاً كبيراً مزجت فيه الكويت بين العلاقات الاقتصادية والعمل الإنساني داخل القارة، في شكل فريد وَطّدَ العلاقات بين الطرفين عبر التاريخ، كما اعتبرت الكويت أن أفريقيا هي العمق الإستراتيجي للعالم العربي، وأكدت دائماً أن علاقة الكويت بأفريقيا هي الأساس في تعزيز العلاقات العربية الأفريقية.

فكيف بدأت العلاقة بين الكويت وأفريقيا؟ ولماذا هذا الاهتمام الكويتي بأفريقيا؟ وكيف نشأت هذه العلاقة الممتزجة باللمسة الإنسانية؟

في ذكرى استقلالها الـ61

الكويت وأفريقيا.. علاقات تاريخية وَطّدها العمل الإنساني

تبدو علاقة الكويت بأفريقيا مختلفة، فلم يأت ارتباط الكويت بأفريقيا من القوافل البحرية الكويتية، التي كانت تجوب العالم قبل اكتشاف النفط، ولا من منظمات العون الإنساني التي تزخر بها العواصم الأفريقية حالياً، ولكن جاء الارتباط الكويتي الأفريقي من رؤية سياسية كويتية قديمة رأت في أفريقيا أرضاً خصبة للتنمية؛ حيث ازدهرت العلاقات الكويتية الأفريقية في ستينيات القرن الماضي، فالكويت أول من شيد الكليات العلمية الأفريقية لتدريب المعلمين وتحسين جودة التعليم، كما كانت شركة الكويت للنفط من أوائل الشركات الخليجية التي أسهمت في تزويد جزء من الدول الأفريقية بالمنتجات البترولية، التي كان معظمها يصل لميناء دار السلام بتنزانيا ومنها إلى الدول الأفريقية المجاورة.

وقد تفوقت شركة البترول الوطنية الكويتية في الحصول على عقود إمداد نفطي لبعض الدول الأفريقية، ففي زامبيا مثلاً، وبالتحديد في مارس 2012م، دخلت الكويت في منافسة مع 50 شركة أجنبية قدمت طلباً لتزويد زامبيا بالمنتجات البترولية والنفط الخام، لتأتي النتيجة لصالح الكويت؛ ما دفع الكويت إلى توقيع مذكرة تفاهم مع زامبيا خاصة بتصدير وتطوير الموارد البشرية الزامبية؛ التي تدفقت على الكويت للاستفادة من الخبرة الكويتية في جميع المجالات.

كما كانت الكويت من أوائل الدول التي شيدت السدود في أفريقيا، وتفوقت في مجال تطوير البنية التحتية وإنشاء الطرق في دول أفريقيا جنوب الصحراء منذ ستينيات القرن الماضي، وقد ربطت هذه الطرق الدول الأفريقية ببعضها بعضاً؛ فالكويت مولت طريقاً ربط بين تشاد والنيجر ونيجيريا ومالي والجزائر وصولاً لتونس؛ ما أسهم في الانفتاح بمنطقة شمال بحيرة تشاد وتعزيز التكامل الاقتصادي والإقليمي.

كما أن أول منظمة خليجية وجدت في أفريقيا كانت كويتية، في مدينة جوبا عاصمة جنوب السودان على يد السفير الراحل عبدالله السريع، الذي كان له دور كبير في تعزيز العلاقات الكويتية الأفريقية.

إضافة إلى ذلك، دور الشباب الكويتي الذي قام بتأسيس منظمات تتعاون مع منظمات الشباب الأفريقي، أهمها منظمة «كواشا أفريكا» التي باتت ترفع شعار «الكويت من أجل كينيا».

أما الفكر الإستراتيجي المعاصر للكويت تجاه أفريقيا، فقد انطلق من خلال رؤية اقتصادية امتزجت بمقاربة إنسانية، تهدف إلى تنمية قدرات المجتمعات الفقيرة بالقارة السمراء والارتقاء بها، حيث لم يغب الشأن الأفريقي عن السياسة الخارجية للكويت، وتم تقديم العديد من المبادرات والمساهمات للقارة السمراء من أجل دفع عجلة التنمية؛ ما أظهر عمق العلاقات التاريخية التي تربط

الكويت مزجت بين العلاقات الاقتصادية والعمل الإنساني بأفريقيا في شكل فريد

.. وكانت من أوائل الدول التي شيدت السدود وتطوير البنية التحتية وإنشاء الطرق بأفريقيا

الكويت والدول الأفريقية.

وقد بات توجه الكويت للانفتاح على أفريقيا واضحاً خلال القمة العربية الأفريقية الثالثة، التي استضافتها في نوفمبر 2013م تحت شعار «شركاء في التنمية والاستثمار»؛ ما أبرز التقارب الإستراتيجي مع أفريقيا على أنه تقارب اقتصادي مغلف بنزعة إنسانية لا يمكن إنكارها، وكان سمو الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد، طيب الله ثراه، قد أطلق خلال القمة مبادرات اقتصادية كبرى من أجل تلبية احتياجات الشعوب الأفريقية.

لماذا أفريقيا؟

رأت الكويت منذ استقلالها أن أفريقيا تشكل عمقاً اقتصادياً مهماً للدول العربية، وأن تعميق الروابط والعلاقات بين الشعوب العربية والأفريقية في مجالات عديدة يمكن أن يشكل كياناً قوياً على المستوى الاقتصادي والسياسي في العالم.

وفي ضوء ما تتمتع به القارة السمراء من موارد طبيعية ضخمة، إضافة إلى موقع إستراتيجي يجعلها محطة عبور إستراتيجية بين الشرق والغرب، بذلت الكويت جهودها للنهوض بالتنمية في أفريقيا عن طريق ضخ الاستثمارات وتوطيد العلاقات، وذلك من خلال تجسيد رؤية أمير البلاد الراحل الشيخ صباح الأحمد الصباح، عندما كان وزيراً للخارجية، وكان يؤمن بأهمية تعزيز العلاقات مع الدول الأفريقية انطلاقاً من نظرته المستقبلية بأن القارة الأفريقية الغنية بثرواتها البشرية يمكن أن تكون لاعباً مهماً في التوازنات الدولية، إذا ما أتيحت لها فرص التنمية الحقيقية.

ومن هنا، حظيت القارة الأفريقية بنصيب وافر من اهتمامات السياسة الكويتية، وكانت من أشد الداعمين لعقد القمة العربية الأفريقية الأولى التي عُقدت بالقاهرة عام 1977م، التي اتخذت العديد من التوصيات المهمة لتوطيد العلاقات وتعزيز التعاون بين الجانبين.

ومن بين هذه التوصيات كان إنشاء اللجنة الدائمة للتعاون العربي الأفريقي، وتتكون من 24 عضواً على مستوى وزراء الخارجية، منهم 12 عضواً يمثلون الدول العربية، و12 يمثلون الجانب الأفريقي، وقد ترأست الكويت الجانب العربي في اللجنة التنسيقية العليا للتعاون العربي الأفريقي ممثلة بالأمير الراحل سمو الشيخ صباح الأحمد، وزير الخارجية آنذاك، كما ترأس الجانب الأفريقي وزير خارجية بوركينا فاسو.

كما أن الحضور الكويتي في قمة اتحاد الدول الأفريقية، التي عقدت في يوليو 2012م، بالعاصمة الإثيوبية أديس أبابا، بمشاركة الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد، بدعوة من الرئيس الإثيوبي، عزز مكانة الكويت في المجتمع الدولي وفي القارة الأفريقية، وهذه المشاركة الفريدة للكويت حمَّلتها مسؤولية دعم التعاون العربي الأفريقي.

وقد أكدت دولة الكويت في العديد من المناسبات أنها ستظل الداعم والمساند القوي للتنمية في أفريقيا، سواء كانت من الكويت كدولة أم من المؤسسات التابعة للصندوق الكويتي للتنمية العربية والاقتصادية؛ الذي يَعتبر أفريقيا الساحة الكبرى والرئيسة لدعم المشاريع الاقتصادية.

رائدة العمل الإنساني

بعد شهور قليلة من حصول الكويت على استقلالها عام 1961م، رأت أن توسع صداقاتها مع دول العالم، وأن تمد يد التعاون معها، فتم تأسيس الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية، في 31 ديسمبر 1961م، برأسمال قدره 50 مليون دينار كويتي.

وتنوعت مجالات العمل التي ساهم الصندوق في تمويلها بين قطاعات النقل والزراعة والصناعة والطاقة والمياه والاتصالات وغيرها، وأعطى الصندوق اهتماماً خاصاً للمشروعات التي تهم الإنسان وتلمس احتياجاته الأساسية وتلبي تطلعاته، حتى يبدأ مسيرة النهضة وصولاً إلى الحياة الكريمة.

لذلك، كان هناك اهتمام كبير من الصندوق بالمشروعات التي تعنى ببناء الإنسان في القارة الأفريقية، بتمويل بعض المشاريع الإنسانية المميزة، مثل: برنامج مكافحة عمى النهر؛ وهو الداء الذي انتشر في غرب أفريقيا في أوائل السبعينيات، وقد أصاب أكثر من مليون مواطن، منهم 60 ألف مواطن فقدوا أبصارهم بشكل كامل، وأصاب الوباء 6 بلدان أفريقية، هي: بنين وتوغو وغانا وبوركينا فاسو ومالي والنيجر وساحل العاج.

رأت الكويت أن هذا المشروع من أفضل الاستثمارات التي يمكن أن تقوم بها في قارة أفريقيا؛ لأنه سيعود بمنافعه على مواطني تلك البلدان مباشرة، واستمر هذا المشروع قرابة 10 سنوات من العمل الجاد، إلى أن توصل العلماء إلى مصل يقي الآخرين من الإصابة به.

أيضاً من المشروعات الحيوية التي مولها الصندوق الكويتي للتنمية؛ مشروع الصرف

الصحي لمدينة أسمرة بإريتريا، ومشروع الثروة السمكية بأنغولا، ومشروع توليد الكهرباء في سيشل، وبرنامج توفير المياه بالرأس الأخضر، ومشروع تطوير المعهد الفني الإقليمي المتكامل في رواندا، وغيرها من المشاريع الإنسانية.

ولم يتوقف الدعم الكويتي عند ذلك المستوى فحسب؛ بل امتد إلى الجمعيات الإغاثية والخيرية الكويتية، ومنها جمعية الإصلاح الاجتماعي، والهلال الأحمر الكويتي، وجمعية إحياء التراث الإسلامي، وجمعية العون المباشر، للمساعدة في إحياء وتفعيل التعاون العربي الأفريقي.

وكذلك جمعية الرحمة العالمية؛ التي تميزت ببناء المجمعات الخيرية في أفريقيا، وكفالة الأيتام، وبناء القرى السكنية والمستشفيات والمدارس الخيرية، وحفر الآبار، وغيرها من الأعمال الإغاثية، ولذلك أصبحت صورة الكويت في العالم مرتبطة بغوث الملهوف، مرسومةً على آلاف المشاريع الخيرية والإنسانية في ربوع أفريقيا.

وقد شكلت الكويت رقماً صعباً في العمل الخيري الأفريقي والعالمي، وهو ما حدا بمنظمة الأمم المتحدة لأن تطلق عليها «مركز العمل الإنساني»، وهي خطوة حمَّلت الكويت مسؤوليات كبيرة في استمرار أداء رسالتها.

السميط.. هدية غالية

لا يسعنا أن نذكر العلاقة الإنسانية بين الكويت وأفريقيا دون ذكر الداعية الراحل د. عبدالرحمن السميط؛ الطبيب الكويتي الذي آثر العمل الإغاثي في أفقر المناطق على

الكويت شكلت رقماً صعباً في العمل الخيري الأفريقي والعالمي حتى استحقت لقب «مركز العمل الإنساني»

الركون لرغد العيش في بلاده، فنذر نفسه ووقته وجهده وماله للعمل الخيري والدعوي في قارة أفريقيا مدة 3 عقود أمضاها هناك.

وكان السميط عضواً مؤسساً في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وعضواً في جمعية النجاة الخيرية الكويتية، وجمعية الهلال الأحمر الكويتي، ورئيس تحرير مجلة «الكوثر» المتخصصة في الشأن الأفريقي، ومن أبرز الأعمال الخيرية والإغاثية التي قام بها السميط: تأسيس «لجنة مسلمي مالاوي» في الكويت عام 1980م، التي تغير اسمها بعد ذلك إلى «لجنة مسلمي أفريقيا».

د. السميط يُعد رمزاً لما تقدمه الكويت لأفريقيا وكان سبباً في إسلام أكثر من 10 ملايين

وساهم الراحل من خلال «لجنة مسلمي أفريقيا» كأول مؤسسة إسلامية متخصصة عاملة في أفريقيا، وكذلك من خلال لجنة الإغاثة الكويتية، في إنقاذ أكثر من 320 ألف مسلم من الجوع والموت في السودان وموزمبيق وكينيا والصومال وجيبوتي خلال مجاعة عام 1984م، ثم تغير اسم «لجنة مسلمي أفريقيا» إلى «جمعية العون المباشر» بعد أن وصلت مساعداتها للمسلم وغير المسلم.

كما قام د. السميط، رحمه الله تعالى، بالعديد من المشاريع الخيرية، منها بناء 1200 مسجد، ورعاية 9500 يتيم، وحفر 2750 بئراً في مناطق الجفاف، وبناء 124 مستشفى ومستوصفاً، وتوزيع أكثر من 51 مليون نسخة من المصحف الشريف، وطبع وتوزيع 605 ملايين كُتيب إسلامي بلغات أفريقية مختلفة، ويكفي أن السميط كان سبباً في إسلام أكثر من 10 ملايين فرد في أفريقيا.

يُعد السميط رمزاً لما قدمته وما تقدمه الكويت للقارة الأفريقية، وقد رحل في أغسطس 2013م، بعد مسيرة عطاء طويلة تخطت حدود البلاد لتصل إلى آفاق أفريقيا.

وختاماً، فإن هذه العلاقة المميزة التي تربط الكويت بأفريقيا لا تزال تحتاج للمزيد من التوطيد والحضور في ظل التنافس الدولي على القارة السمراء، وفي ظل زيادة الحاجات الإنسانية لأبنائها، فأمام الكويت اليوم الكثير من الفرص التي تحتاج لقراءة جديدة لأفريقيا.■

«الخارجية» الكويتية.. عودة موفقة للريادة

سعد النشوان
رئيس قسم الشؤون المحلية

بعد استقلال دولة الكويت من الاستعمار البريطاني، في 19 يونيو 1961م، وبعد توقيع المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح وثيقة الاستقلال، عاهد الله تعالى وعاهد نفسه على أمرين؛ الأول: العمل على رفاهية المواطن الكويتي الذي مسلكه الطريق الديمقراطي، والثاني: تقوية العلاقات بين الكويت ومحيطها الخليجي والعربي والإسلامي أولاً، ثم توثيق العلاقات الدولية.

فعلى المستوى المحلي، أُقر الدستور في 11 نوفمبر 1962م، وعلى المستوى العربي أنشأت دولة الكويت، في 31 ديسمبر 1961م، الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية، ومنذ تلك الأيام تنتهج الكويت «الفزعة» في كل القضايا العربية والإسلامية؛ فقد شاركت الكويت في حرب يونيو 1967م، وحرب أكتوبر 1973م، وقدمت شهداء، ووقفت الكويت سداً منيعاً ضد الصهاينة المحتلين إلى يومنا هذا، والكويت من الدول العربية القليلة التي ما زالت متمسكة بعدم التطبيع مع الصهاينة، ولا تعترف بما يسمى «إسرائيل»، وقامت خلال تاريخها بدور الوسيط في العديد من القضايا العربية البارزة، ونشأت منظمة التحرير الفلسطينية بالكويت في ستينيات القرن الماضي، وكلنا نذكر الدور المحوري للكويت في أزمة «أيلول الأسود» بين الفلسطينيين والمملكة الأردنية الهاشمية، ودور المغفور له الشيخ سعد العبدالله، رحمه الله، في إنقاذ ياسر عرفات من الموت المحقق.

وقد وهب الله تعالى الكويت قائداً سياسياً ليس على مستوى الوطن العربي فحسب، وإنما كان عميد الدبلوماسية العالمية، وهو الأمير الراحل المغفور له الشيخ صباح الأحمد، الذي كان وزيراً للخارجية لمدة تزيد على 40 عاماً، رسم خلالها السياسة الخارجية الكويتية القائمة على حل المشكلات العربية البينية، بل حتى المشكلات العربية الأفريقية والآسيوية، ومن أمثلة ذلك قيام الكويت بقيادة وزير خارجيتها عام 1966م بحل الخلافات بين مصر والسعودية، والمساهمة في حل قضية المطالبة الإيرانية بالبحرين عام 1968م، ورعاية اتفاق السلام بين الأشقاء في دولتي اليمن الشمالي والجنوبي عام 1972م، والتوسط بين ليبيا والسعودية عام 1982م، وفي عام 1988م كان للكويت الدور الأكبر في نجاح الحوار بين الفرقاء اللبنانيين الذي نتج عنه «اتفاق الطائف» عام 1989م.

بعد التحرير

وبعد التحرير من الغزو العراقي الغاشم، سارت الكويت على نهجها بوتيرة أقل من السابق، لكن سرعان ما عاد بريق السياسة الخارجية للتألق مرة أخرى، فرأينا كيف تعاملت الكويت مع ما يسمى «صفقة القرن» إبان حكم الشيخ صباح الأحمد، وكيف طرد رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم ممثل الصهاينة من المؤتمر البرلماني الدولي، ووصف الوفد الصهيوني بـ«قتلة الأطفال»، وقد بارك موقفه سمو الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد.

وشاهدنا الجهد الكويتي والسعي المحموم في حل الأزمة الخليجية الطارئة بين قطر من جهة، والسعودية والإمارات والبحرين من جهة أخرى، ولم يهدأ للدبلوماسية الكويتية بال حتى جمعت الأشقاء على طاولة واحدة وأنهت الأزمة باقتدار.

وها نحن الآن نرى الوزير النشط الشيخ د. أحمد ناصر المحمد الصباح، وتحركه لحل الأزمة اللبنانية الخليجية التي تسير بهدوء ودون ضوضاء، وهذا التحرك ليس غريباً على الدبلوماسية الكويتية التي تمتلك الخبرة الهائلة في حل أعقد المشكلات السياسية والقدرة على إدارة التفاوض وإنجاحه.

الكثير من السياسيين ينتظرون الخطوة الكويتية للعودة للريادة، مع احترامنا لكل الأطراف، فالسياسة الكويتية إذا دخلت معتركاً فهي قادرة على حله، بإذن الله تعالى، وما يميز الوساطة الكويتية أنها تتعامل مع كل الأطراف باعتبارهم وطنيين محبين لبلادهم. وأجواء الثقة التي تمتلكها الكويت بين الفرقاء ليس في لبنان فقط، وإنما في كل الأنحاء، سبب رئيس يدعونا إلى التفاؤل، حيث تنتهج الدبلوماسية الكويتية نظرية أخذتها من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، القائل: «أَلَا أَدُلُّكُم على أَفْضَلَ من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟»، قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: «إصلاحُ ذات البَيْن، فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْن هي الحالقةُ، لا أقولُ: إنها تَحلِقُ الشَّعرَ ولكن تَحلِقُ الدِّينَ».■

قيمنا في خطر.. وهذا دور المؤسسات الدينية لحمايتها

علماء ودعاة لـ«المجتمع»:

علا سليمان

تعد المؤسسات الدينية الحصون المنيعة التي ينتظر منها المجتمع أن تقوم بدورها بحماية كل ما يمس أمنه وسلمه الاجتماعيين؛ ولهذا تبوأت هذه المؤسسات مكانة علية في قلوب أبناء المجتمعات؛ حتى أصبحت مثار فخر بين أبناء الدول الإسلامية.

وبناء على هذه المكانة الكبيرة لهذه المؤسسات الدينية، باعتبارها الحارس الأمين على قيم المجتمع وثقافته وهويته؛ كان من الضروري في سياق هذا الملف استجلاء موقف تلك القيم، وما إذا كانت تقوم بدورها أم أن هناك أوجه قصور تحول دون ذلك.

وفي هذا التحقيق، نستطلع آراء بعض العلماء والدعاة حول دور المؤسسات الدينية في حماية القيم.

في البداية، يؤكد **د. نبيل السمالوطي**، أستاذ علم الاجتماع، عميد كلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر، أن القيم والأخلاقيات الفاضلة تمثل سفينة النجاة والإنقاذ من مشكلاتنا بوجه عام، ومشكلاتنا الاجتماعية والأسرية بوجه خاص، خاصة في عصر العولمة والسماوات المفتوحة التي جعلت العالم قرية كونية صغيرة؛ مما بات معه كياننا الاجتماعي مهدداً، فضلاً عن التحديات القيمية الأكبر التي يتعرض لها المسلمون المقيمون في بلاد غير إسلامية.

وأوضح أستاذ علم الاجتماع أن القيم عرَّفها علماء الاجتماع بأنها عبارة عن «مجموعة المبادئ التي يتم من خلالها السيطرة على الإنسان والحكم عليه من خلال تقييم الأفكار والمعتقدات والاتجاهات، والميول والطموحات والسلوكيات والأخلاق، من خلال المنظور بغض النظر أكانت صالحة أم سيئة»، مضيفاً أنه لا شك أن القيم الإسلامية متميزة عن غيرها في أنها تتوافق مع الفطرة السوية التي خلق الله تعالى الناس عليها.

وأوضح السمالوطي أن المؤسسات الدينية وخاصة التعليمية والتربوية والاجتماعية منها تتحمل عبئاً كبيراً في المحافظة على قيمنا التي تتعرض لحرب شعواء لاقتلاعنا من جذورنا الدينية والحضارية، ويجب أن تعي مؤسساتنا مقولة «وليام إيوارت جلادستون»، رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، منذ القرن التاسع عشر زمن الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس: «ما دام القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق».

ولا شك أن قيمنا الرئيسة يعد القرآن الكريم والسُّنة النبوية مصدرها الرئيس، ونتأمل ما قاله المؤرخ البريطاني الشهير

د. السمالوطي:

على المؤسسات الإسلامية التواصل مع المجتمع خاصة الأسرة فهي أول من يزرع القيم

«أرنولد توينبي»: «إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ»، ولا شك أن التمسك بالقيم من أهم أدوات يقظة الأمة من كبوتها.

وأشار السمالوطي إلى أن المؤسسات الإسلامية لا بد أن تتواصل عملياً مع بقية المؤسسات الرئيسة في المجتمع وخاصة الأسرة؛ لأنها أول من يزرع القيم وتحرص على تطبيقها على أبنائها وبناتها، فما أحوجنا في عصر الانفلات الأخلاقي والمثلية والعلاقات غير الشرعية باسم حقوق الإنسان إلى ترسيخ قيمنا المهددة بالانقراض، وتعاني من التراجع المستمر في الالتزام بها، مثل: قيم الاحترام المتبادل، والحياء، والرحمة، والأمانة، والنظافة، والوفاء، والبر بالوالدين، واحترام حقوق الصغار، والمودة بين الزوجين، وغير ذلك من القيم الإسلامية التي تختفي تدريجياً في عصرنا.

غياب التنسيق

أما **د. أحمد عمر هاشم**، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، الرئيس الأسبق لجامعة الأزهر، فيؤكد أن كلمة «القيم» مشتقة من «القيمة» التي يقصد بها الأشياء الغالية والثمينة التي لها مكانة رفيعة في النفوس، لافتاً إلى أن النظر الفاحص إلى القيم الإسلامية يؤكد أنها متوافقة مع العقل الذي كرمنا الله به عن بقية الكائنات الحية الباحثة عن غريزتها فقط، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: 70).

وأشار هاشم إلى أن الالتزام بالقيم السوية يشعر الإنسان بالسعادة والتوافق والاستقرار الاجتماعي، وبقدر توافق أفراد المجتمع على قيمهم واعتزازهم وتمسكهم بها؛ تكون قوته وتماسكه في مواجهة محاولات الغزو الفكري والثقافي والاجتماعي، بل والسياسي والعسكري؛ لأن قوة القيم أو ضعفها يكون بقدر اقتناع وتمسك أفراد المجتمع بها أو تفريطهم فيها.

وأوضح عضو هيئة كبار علماء الأزهر أن المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي لم تصل إلى الدرجة المأمولة من كل مسلم غيور على دينه؛ وذلك لغياب التنسيق والتعاون والتكامل بشكل كاف؛ ما جعل كثيراً منها يعمل

د. هاشم:

المؤسسات الدينية لم تصل إلى الدرجة المأمولة في تفعيل القيم لغياب التنسيق بينها

في جُزر منعزلة، رغم وجود بعض المنظمات التي تجمع غالبية مؤسساتنا الإسلامية، مثل المجامع الفقهية والأمانة العامة لدور الإفتاء في العالم، والمؤتمرات الدولية الإسلامية، ورابطة الجامعات الإسلامية، واتحاد المدارس الإسلامية، وغيرها الكثير التي لو تم تفعيل التعاون فيما بينها لحماية القيم ومواجهة المتربصين بقيمنا لكان لعالمنا الإسلامي شأن أفضل من هذا.

ويضرب هاشم مثلاً على تحول مجتمعاتنا الإسلامية إلى الأفضل لو قامت مؤسساتها الدينية بدورها في تفعيل تلك القيم، قائلاً: يكفي أن نفعل قيم إتقان العمل كالعبادة، وطلب العلم وجودة التعليم كفريضة، والتربية الدينية الصحيحة لأولادنا على تحري الحلال وتجنب الحرام، والبعد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

ويدلل أستاذ الحديث بجامعة الأزهر بنموذج هو رابطة الجامعات الإسلامية،

ويقول: إنها لا تضم في عضويتها كل الجامعات في عالمنا الإسلامي فقط، بل وغير الإسلامي، ومهمتها منذ تأسيسها عام 1969م التنسيق بين الأعضاء في مجال المناهج الدراسية والسياسات التعليمية والبحثية بما يحقق التقارب والتكامل فيما بينها، وتنمية التعاون العلمي والفكري والثقافي بينها، وكذلك مع الجامعات العالمية، مع العمل على نشر الالتزام بتعاليم ديننا، وإشاعة القيم الإسلامية، والحث على العمل بها من خلال العناية بمناهج العلوم الإسلامية والعربية والارتقاء بها وتطويرها؛ فهذه الرسالة في حاجة إلى إستراتيجية متكاملة، يتم تنفيذها ولا تكون حبيسة الأدراج مثل غيرها من الأفكار العظيمة التي لم تر النور.

إستراتيجية شاملة

في السياق ذاته، دعا **د. صلاح الجعفراوي**، الخبير بالمنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة (إيسيسكو)، رئيس المجلس الإسلامي في ألمانيا سابقاً، إلى ضرورة التعاون والتكامل بين مختلف المؤسسات الإسلامية سواء الموجودة في الدول العربية والإسلامية، أم الموجودة في البلاد غير الإسلامية، شرقاً وغرباً، للوصول إلى إستراتيجية لحماية قيمنا التي تختلف بالطبع عن قيم غير المسلمين، وأفضل منظمة لتنفيذ ذلك هي منظمة التعاون الإسلامي، التي تعنى كثيراً بهذا الأمر من خلال ميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصال في البلدان الإسلامية، للمحافظة على القيم الحاكمة لمجتمعاتنا

د. الجعفراوي:

تغيير اسم «إيسيسكو» لتأكيد رسالتها وتحقيق المرجعية الحضارية للعالم الإسلامي في ضوء القيم

المنطلقة من الدين والأعراف الاجتماعية.

وأشار الجعفراوي إلى أنه في 30 يناير 2020م، اعتمد المجلس التنفيذي للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) تغيير اسم المنظمة إلى «منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة» لرفع الالتباس الشائع بشأن طبيعة مهامها، وفتح آفاق أوسع لمشاركاتها الدولية لتأكيد رسالتها الحضارية ولتحقيق المرجعية الحضارية للعالم الإسلامي، في ضوء القيم والمثل الإنسانية الإسلامية، والمواجهة العملية والعلمية لمن يشوهون ديننا وقيمنا من خلال تدعيم التفاهم بين شعوبنا من جانب ومع غيرنا من جانب آخر لإقرار السلم والأمن العالمي، والتعريف بحقيقة الإسلام وثقافته، وتشجيع الحوار الحضاري والثقافي والديني، والتعاون لنشر قيم ثقافة العدل والسلام ومبادئ الحرية وحقوق الإنسان، ومبادئ الحرية وحقوق الإنسان، انطلاقاً من منظورنا الحضاري الإسلامي الذي يشجع على التفاعل الثقافي مع المحافظة على الهوية الثقافية والاستقلال الفكري.

وكشف الجعفراوي أن عدد الدول الأعضاء في «منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة» يبلغ 54 دولة، من إجمالي الدول الأعضاء بمنظمة التعاون الإسلامي البالغة 57، ويتم تنفيذ إستراتيجية لتدعيم التكامل والتنسيق وتعزيز التعاون والشراكة مع المؤسسات الحكومية وغير الحكومية المماثلة وذات الاهتمام المشترك، داخل الدول الأعضاء وخارجها، مع العمل على التكامل والترابط بين المنظومات التربوية، ودعم جهود المؤسسات التربوية والعلمية والثقافية للمسلمين في الدول غير الأعضاء في «إيسيسكو».

الأمهات والواعظات

من جانبها، شددت **د. إلهام محمد شاهين**، الأستاذة بكلية الدراسات الإسلامية للبنات بجامعة الأزهر، على أهمية دور مؤسسات الوعظ النسائي في مجال التوعية والإرشاد للنساء والبنات بالقيم الفاضلة التي يدعو إليها الدين والأعراف الاجتماعية السليمة، سواء فيما يتعلق بالحقوق والواجبات الزوجية، أو غيرها من القيم.

وأشارت إلى أن المؤسسة الدينية يجب أن تعير توعية القطاع النسائي مزيداً من الاهتمام في ظل حملات التغريب التي تستهدف مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وتتخذ من المرأة رأس حربة لضرب أجيالنا الحالية والقادمة.

وبررت دعوتها بأن المرأة في الحقيقة نصف المجتمع عدداً ومربية وراعية النصف الآخر؛ أي أن تأثيرها ممتد إلى كل المجتمع، ولهذا نظر أعداء الإسلام إلى مجتمعاتنا ولاحظوا أن موطن قوتها يتمثل في «الأسرة» وعمودها الفقري المرأة سواء كانت زوجة أم مطلقة أم أرملة؛ لأن الإحصائيات تؤكد أن أكثر من ثلث مجتمعاتنا تعولها امرأة، ومن يتأمل جهود المنظمات النسوية الغربية المسيطرة على المنظمات الاجتماعية الفاعلة في الأمم المتحدة سيجدها تعمل بكل قوة على هدم الأسرة واقتلاع التشريعات المنظمة لها سواء فيما يتعلق بالزواج الشرعي، والمهر والميراث والحقوق والواجبات المتبادلة بين الجنسين، سواء فيما يتعلق بالزواج أو العلاقات الاجتماعية والعامة في العمل.

وطالبت د. إلهام المؤسسات الإسلامية بالقراءة الواعية والمتأنية الحذِرة من نصوص اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة أو «سيداو»، وهي معاهدة دولية اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1979م، ووصفتها بأنها «وثيقة الحقوق الدولية للنساء»، وتم التصديق عليها عام 1981م، ووقعت عليها 190 دولة، من بينها أكثر من 50 دولة وافقت مع تحفظات أو اعتراضات غالبيتها من الدول العربية والإسلامية؛ لأن بعض نصوص المعاهدة تعمل على القضاء على جميع الفروق بين الجنسين بحجة أن هذا نوع من أشكال التمييز العنصري، وتضمن الاتفاقية 6 أجزاء، وتحتوي على 30 مادة بعضها يدعو إلى الحرية الجنسية والمثلية والشذوذ بزعم عدم التمييز، وكذلك الدعوة إلى الحرية المطلقة للمرأة في المجتمع بعيداً عن تعاليم الأديان، والمساواة التامة بين الجنسين.

وتجبر المادة الثانية كل الدول على إظهار نيتها الحقيقية للمساواة بين الجنسين في دساتيرها المحلية، وإلغاء كافة القوانين التي تسمح بالتمييز بناء على الجنس، وسن قوانين للحماية من أي تمييز، وإنشاء محاكم ومنظمات مجتمعية لحماية المرأة ضد أي ممارسات تمييزية بغض النظر عن التشريعات الدينية والأعراف الاجتماعية، ومعاقبة الأفراد والمؤسسات والمنظمات المخالفة لذلك.

وتنهي د. إلهام كلامها مطالبة المؤسسات الدينية من خلال المجامع الفقهية والمنظمات الإسلامية، مثل منظمة التعاون الإسلامي التي تضم 57 دولة، بوضع إستراتيجية متكاملة لحماية قيمنا من هذه الاتفاقيات المشبوهة التي تستهدف هدم مجتمعاتنا بأيدينا لتصبح نسخة ممسوخة من المجتمعات الغربية التي لا مكان حقيقياً فيها للدين، بعد أن حبسته العلمانية المتوحشة داخل دور العبادة ولم يعد له وجود في المجتمع.■

د. إلهام شاهين:

يجب أن تعير المؤسسات الدينية القطاع النسائي مزيداً من الاهتمام في ظل حملات التغريب

.. ووضع إستراتيجية متكاملة لحماية قيمنا من الاتفاقيات المشبوهة

د. السيد شعبان
كاتب وروائي

دور الأدب في الدعوة إلى الفضيلة

تكمن روعة الأعمال الأدبية في أنها تعبر عن الإنسان؛ فترتقي بذائقته وتسمو بأخلاقه؛ فلا جدوى من تلك الكتابات التي ملأت الأرفف فأشاعت الرذيلة وانحدرت بالإنسان إلى حمأة الفواحش، ثمة دور نشر تسعى جاهدة لتدمير الأخلاق بدعوى حرية التعبير وفنية الأعمال الأدبية.

تلك دعوى زيف تتزيا بالعلمية والحرية، وما هي إلا أقلام مأجورة ومؤسسات مشبوهة تدفعها أحقاد وتشعلها حرباً على الإنسان المسلم لينخلع من دينه وينتهي به الأمر إلى كائن نفعي، وهذه الأعمال الفنية تمتلئ بها شاشات السينما وقنوات الإباحية، فغدت فتنة وضرام شهوة خلفت جرائم يشيب لهولها الوليد.

على النقيض من ذلك، أعمال هادفة ترتقي بالإنسان وتحضه على الفضيلة وتبث فيه الأمل وأشواق الإيمان، وما تلك إلا الكلمة الطيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

الأدب انتماء لا يخلو من معتقد، ولقد كذب الذين ادعوا فنية الأدب مجرداً من القيم، إلا أن يكون فتنة وانسلاخاً من الهوية.

من جهة أخرى، تعد الأعمال الأدبية سجل البشر وديوانهم لمن يأتون بعدهم، يرونهم بأعين واعية: كيف عاشوا وأنجزوا في ميدان التحضر والرقي.

تكاد كلمة الفن أن تكون مرادفة لكلمة الإبداع؛ لأن الفن إذا لم يحمل سمة التفرد فلا يمكن أن يكون جذاباً، ولما كانت المتعة مطلوبة في الأعمال الأدبية؛ فإن من ضرورات الفن مراعاة الذوق ليكون جميلاً، فالإبداع الذي يخدش الحياء ويهبط بأشواق الإنسان ويرديه في حمأة الرذيلة بل ينال من قيمه ومعتقداته لا يمكن بحال أن يعتبر فناً؛ لأنه لن يكون جميلاً!

كل عمل أدبي يلتزم سياج القيم الفاضلة أدب هادف لأنه يتفق مع الفطرة البشرية

الذين يلوكون شعار الفن للفن قوم عدميون لا يبنون مجتمعاً ولا تحضراً

ترى أي جمال في تلك الصور الفاضحة والعبارات المثيرة للغرائز؟ إنها تخاطب الجانب الغريزي في الإنسان، بل ترديه في الفواحش؛ إذ تجنح بخياله بعيداً عن عالم الطُّهر وتدفع به إلى تخدير عقلة وإماتة مشاعره ومن ثم يسهل قيادته والسيطرة عليه.

ثمة كتابات نكدة جعل من زيفها أقوام يغالبون به الأمة على تاريخها، مثل كتابات جورجي زيدان فيما عنونه بـ«روايات تاريخ الإسلام» التي تعود إلى المعتقد الفكري والتوجهات التي ينطلق منها للحط من رموز التاريخ الإسلامي، حيث ركز على النماذج الشائهة والمشبوهة للطعن والدس؛ مما جعله يفتن جيلاً كاملاً من الشباب، وقد نبه إلى خطورة أفكاره د. محمد محمد حسين، في كتابه «حصوننا مهددة من الداخل»، وأ. أنور الجندي في معظم كتاباته ومقالاته!

علاقة الأدب بالقيم

الأدب منجز بشري يعتريه ما يعرض لكاتبه من تغيرات نفسية وعقلية وتوجهات فكرية؛ لذا فلا بد للأدب أن يحاط بسياج من القيم الفاضلة التي لا يختلف بنو البشر حولها، وهي الحق والعدل والجمال، فكل عمل أدبي يلتزم تلك المعايير أدب هادف لأنه يتفق مع الفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها، أما الذين يلوكون شعار الفن للفن فهؤلاء قوم عدميون لا يبنون مجتمعاً ولا يرفعون للأوطان دعائم التحضر والرقي.

ثمة أعمال تمجد الرذيلة، بل تدافع عنها، بدعوى ضعف الإنسان وجناية المجتمع عليه، إنهم يخايلون بوهم ثم تراهم يسفون فيما يقدمون من كتابات.

لقد عرض القرآن الكريم لنوازع النفس البشرية؛ بل قدم تصوراً مجملاً لحالات منها، لكنه استخدم التعبير الشفيف الذي يُلمح ولا يصرح، ويقدم أرقى نموذج لعلاج تلك النفس الأمارة بالسوء، فجاء أدباء استطاعوا أن يقدموا في أعمالهم نماذج بشرية تعالت على جذبة الطين، وخير دليل على تلك الكتابات ما قدمه مصطفى صادق الرافعي في «أوراق الورد»، و«تحت راية القرآن»، وعلي أحمد باكثير في «وإسلاماه»، ومسرحياته التي تعد آية في الفن الذي يهذب العاطفة ويقدم النماذج التاريخية يقتدي بها الناشئة.

وكذلك يحيى حقي في «خليها على الله»، و«فكرة فابتسامة»، ومحمد عبدالحليم عبدالله، والمنفلوطي، وعلي الطنطاوي، وعمر بهاء الدين الأميري، وليس آخراً نجيب الكيلاني في أعماله الأدبية التي تتجاوز الأربعين.

وفي النهاية، فإن كل لغة تحمل سمت العبقرية شرط أن يمسك بمادتها صائغ ماهر؛ حتى إذا أعجزته اللمحة وغلبته الفكرة تخلص من هذا كله بتفرد الصياغة.■

قيم الأسرة في عالم متغير

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

يمكننا فهم ذلك الهجوم الشرس على القيم الأصيلة للأسرة في ضوء إستراتيجية تغيير قيم المجتمع ككل؛ فإذا كان المجتمع يتم دفعه بقوة لتبني قيم الحضارة الغربية وثقافتها ونمطها في الحياة وموالاة أصدقائها ومعاداة أعدائها والتخلي عن قضايانا الكبرى وعلى رأسها القضية الفلسطينية حتى ننسجم مع هذه الحضارة، أو على وجه الدقة حتى تذوب هويتنا الحضارية تماماً فيها؛ فإن تذويب القيم الأصيلة للأسرة يكون المستهدف الأول من هذا المخطط.

الأسرة تمثل أهم خط دفاعي في المجتمع كله، وهو خط دفاعي صلب وقوي بقدر ما يتمثل من قيم أصيلة مصدرها الأساسي هو الشريعة الإسلامية، أما التقاليد والعادات فتكون فعالة بمقدار ما تقترب من الشريعة الإسلامية، ممثلة لروحها، رابطة بينها وبين ظروف وأحوال كل مجتمع وخصوصيته، بينما تبدو هذه العادات والتقاليد خصماً من قيم الأسرة كلما ابتعدت عن تطبيقات الشريعة، بل تبدو الثغرة الأساسية لخلخلة تلك القيم.

يهاجم المتغربون قيم الأسرة، متهمين إياها أنها لا تتناسب مع التغير السريع الحادث في العالم؛ فمنذ ثورة الاتصالات والعالم يشهد تغيرات لم يسبق لها مثيل؛ فما حدث في آخر عقدين من الزمان غيّر خارطة البشرية تماماً، وأفرز إشكاليات وقيماً جديدة.

يريد المتغربون إسقاط كل هذه التغيرات على القيم الأسرية أيضاً، وربما تحقق لهم بعض النجاح الجزئي؛ فقيم الأسرة في الغرب ومن قبل ثورة الاتصالات وهي في حالة من السيولة الشديدة واقعة تحت وطأة الصيرورة بأشكال شاذة من الأسر والتطبيع الاجتماعي مع هذا الشذوذ والاضطراب، هذا التطبيع الذي تحول لضغوط مؤثرة.

ولو أخذنا قضية الشذوذ الجنسي كنموذج لذلك التطبيع والضغط للقبول به كرهاً، نجد أنه منذ أن ألغت منظمة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة تصنيف المثلية (الشذوذ) كاضطراب نفسي وهناك ضغوط هائلة تمارَس علينا للقبول به كحق أصيل من حقوق الإنسان!

كبرى المواقع الإلكترونية العالمية –مثل «بي بي سي» في نسختها العربية– لا تخلو يوماً من أخبار لدعم المثليين والمتحولين والعابرين جنسياً والتعاطف مع قضيتهم، ومحاولة جذب التعاطف معهم والترويج لأي عربي يعيش في الخارج ويفصح عن ميوله واتجاهاته الشاذة حتى تتبنى مجتمعاتنا القيم الجديدة للأسرة التي تشكلت في الغرب، التي هي أكثر نقاط ضعفه في الوقت ذاته، كما يقول السياسي والمفكر الأمريكي «باتريك جيه بوكانن»، في كتابه «موت الغرب»، الذي يبشر فيه بموت وانتهاء الغرب، والموت الذي ينتظره الغرب، بحسب المؤلف، له شكلان بينهما علاقة وثيقة؛ حيث يؤدي الأول منهما إلى الثاني؛ فالموت الأول موت أخلاقي بسبب الانحلال الذي كان بدوره نتيجة لتحطيم القيم التربوية الأسرية والأخلاقية التقليدية، وهو ما يسعى الغرب بمؤسساته وأتباعه لإعادة إنتاجه في بلادنا، والموت الآخر موت ديموغرافي وبيولوجي بسبب النقص السكاني الذي هو النتيجة المنطقية للانحلال والشذوذ الأخلاقي.

فهؤلاء الذين يسعون لتغيير قيمنا الأسرية واستبدال القيم الأسرية في الغرب بها ينطلقون من زعم أن العالم يتغير، قائلين: «انظروا لثورة الاتصالات! والغرب الذي تنتقدون قيمه هو من صنع تلك الثورة الرقمية؛ فكما تسيرون خلفه في مجال

التكنولوجيا عليكم اتباع نفس القيم والأخلاق للبشر الذين اخترعوا التكنولوجيا».

المجتمع الأبوي

في بلادنا العربية، هناك من يجهر بشكل صريح بتحطيم القيم الأسرية الأصيلة، وإلقاء الأسرة في أمواج التغير العالمي؛ حتى تصل لقيم جديدة لا تتصف بالثبات هذه المرة، وإنما بالتغير المستمر، وهؤلاء وإن كانوا قلة فإن لهم تأثيراً كما أنهم يتزايدون بمرور الوقت، وينتشرون كما تنتشر الخلايا السرطانية كما حدث مع قوم لوط.

هؤلاء يستغلون ثورة الاتصالات وشيوع الإنترنت خاصة بين الأوساط الشبابية لنشر هذه الأفكار باعتبارها أفكاراً غير تقليدية تتماشى مع التطور الإنساني الذي يحترم الآخر، ويعلي من شأن الخصوصية والحرية الشخصية وحقوق الإنسان الأساسية.

بعض هؤلاء المتغربين يمتلكون مراكز تمولها جهات وهيئات غربية مادياً، وترعاها في المحافل الدولية، وتضغط على الحكومات المحلية حتى لا تلاحَق قضائياً، حتى وصل الأمر ببعضهم لإصدار بيانات ينددون فيها بالجهات القضائية في إحدى الدول العربية الكبيرة لإدانتها بعض المتهمين؛ لأنه جاء في صحيفة الدعوى الجنائية أن المتهمين اعتدوا على المبادئ والقيم الأسرية، وارتكز الهجوم على أن هذه جمل فضفاضة لا تعني شيئاً، وأنه لا توجد أمور ثابتة أو واضحة اسمها قيم ومبادئ الأسرة! وتم استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لتدشين حملات مليئة بالسخرية والتهكم على قيم الأسرة.

إلا أن هناك قطاعات أخرى أشد خطورة لا تواجه المجتمع بهذه الصفاقة، وإنما تتحرك في مساحات أكثر أمناً؛ حيث تهاجم تلك القيم التي تختلط فيها العادات والأعراف بالدين، وهو أمر جيد إذا كان الهدف تطهير الدين مما علق به من عادات تتناقض معه أو حتى لا تؤازره بالشكل الكافي، لكنهم يصوبون سهامهم بحيث تصيب العرف الجائر والقيم الدينية الصحيحة في آن واحد.

ولنأخذ هنا مصطلح «المجتمع الأبوي» أو الذكوري تحت مجهر القيم، فإذا كان المصطلح يعني استبداد الرجال وظلم النساء ومنعهن حقوقهن، أو التعامل العنيف معهن؛ فهذا كله مرفوض في ميزان القيم الإسلامي، وينبغي أن يعي الدعاة والمصلحون أن من أهم واجباتهم إدانة مثل هذه السلوكيات والتنديد بها حتى لا يتركوا الفرصة للعابثين بقيم المجتمع وقيم الأسرة أن يتخذوا من مثل هذه السلوكيات ستاراً يستترون وراءه لتنفيذ مخططهم الشيطاني؛ حيث يبدؤون بقضايا عادلة لينتهوا إلى نتيجة تقارب الفريق الأول الصريح في رفضه لقيم الأسرة؛ فتحت إدانة المجتمع الذكوري يجرد الرجل من حقه وتكليفه في القوامة حتى وصل الأمر لاعتبار استئذان الزوجة زوجها للخروج أو السفر شكلاً من أشكال العبودية، وانتهاك حقوق النساء تحت لافتة «إدانة المجتمع الأبوي» يفقد الأب دوره ومكانته في الأسرة، ويتم تهميشه وتفريغ دوره من أي قيمة حقيقية.

ما الحل؟

في خضم هذا الهجوم غير المسبوق على القيم الأسرية والعائلية في عصر يتغير بسرعة تحت وطأة ثورة الاتصالات، حدثت أيضاً شروخ داخلية ذاتية ناتجة من تعاطي الأسرة واستهلاكها لهذه الثورة الرقمية، ولعل أهم هذه الشروخ فيما يتعلق بالقيم الأسرية تلك العزلة التي أصبحت سمة لكثير من الأسر، بعد أن أزاحت قيمة التماسك والتواصل؛ فكل فرد من أفراد الأسرة الحديثة يمتلك هاتفاً ذكياً، ولديه أكثر من منصة للتواصل الاجتماعي، وأصدقاء كثيرون من العالم الافتراضي الذي يتوقع له أن يقفز قفزات خيالية حتى تشبع تجربة التواصل الافتراضية كافة حواس الإنسان، ناهيك عن عقله ومشاعره بحيث يحل الافتراضي بقيمه وآلياته محل الحقيقي، أو على الأقل يجعله ثانوياً إذا استمرت الحال بهذه المتوالية، ومن ثم فنحن بحاجة لتفكير عميق حتى ننقذ قيمة التواصل الحقيقي داخل الأسرة، ولن يتم ذلك دون أن نمتلك الوعي الكافي بأهمية هذا التواصل الذي هو ضمانة التماسك؛ أي صلابة الأسرة في مواجهة كل الحروب التي تشن عليها.

هذا التواصل بحاجة أن يتم على أكثر من مستوى:

- بين الزوج والزوجة؛ لضمان وجود الحب والتعاطف والرحمة، خاصة أن هناك استشراء للفساد بين الجنسين ناتجاً من سهولة التواصل عبر العالم الافتراضي.
- وعلى مستوى الأبناء، يحقق التواصل والحوار ضمانة مهمة تمنحهم المساحة الآمنة للبوح، وتبعدهم عن دوائر الخوف والابتزاز أو الانحراف التي قد يقعون فيها عبر الفضاءات الرقمية.
- وعلى مستوى العلاقة مع الآباء والأجداد والمسنين ممن لا يمتلكون المهارات الرقمية والتكنولوجية الحديثة؛ حيث يحقق التواصل معهم إشباعاً عاطفياً غاية في الأهمية لضمان سلامهم النفسي.■

البعض يستغل ثورة الاتصالات لنشر الأفكار الهدامة باعتبارها أفكاراً غير تقليدية

أهم الشروخ بالقيم الأسرية العزلة التي أصبحت سمة لكثير من الأسر بعد أن أزاحت قيمة التواصل

الحوار مع الأبناء يحقق ضمانة تمنحهم المساحة الآمنة للبوح وتبعدهم عن دوائر الانحراف

العقل قيمة..
كيف نحميها في العصر الرقمي؟

تحرير العقل جهاد عظيم قد يفوق تحرير الأرض، وتعطيل وظيفته جريمة لا تقل عن تعطيل مؤسسات الدولة، والحفاظ عليه ورعايته مهمة عظيمة، وفريضة واجبة، يجب ألا يُغفل عنها.

مصطفى عاشور

حرر الإسلام العقل مما يُقيده ويُعطله، سواء بتقبل الخرافات والأوهام التي ينتجها الاعتقاد في الأساطير والسحر، أو التمسك بالتقاليد البالية المُعيقة للتفكير، أو في الجانب المادي من تعاطي المخدرات والخمور والمسكرات، ومن العجيب أن هناك أحاديث نبوية تنص على أن من أتى عرافاً أو شرب خمراً لم تقبل منه صلاة أربعين يوماً[1]، فالأمران متساويان في إغلاق أبواب القبول؛ لأن الجُرم واحد.

وهناك جوانب متعددة لتعطيل العقل، منها الأدب والفن اللذان يثيران الغرائز، فهما يصرفان العقل نحو البحث عن إشباع ملذاته، ويرفض الأديب يحيى حقي مثل هذا النوع من الأدب، فالآداب والفنون تتسرب إلى اللاوعي للتأثير في الوعي الإنساني، فإن غُيب الوعي، فإننا نكون أمام جريمة ضحيتها العقل، يقول حقي: «إني لا أعترف بأي نتاج أدبي فني ناتج من سكر أو خمر، لأني أُعلي من قيمة العقل، الذي لا يجوز العبث به أو المساس به».

وانتقد عبدالرحمن الكواكبي استبداد النفس على العقل، فالاستبداد يُميت المواهب العقلية، وهو من مسببات التخلف، فالخوف والقهر يحجبان العقل عن الانطلاق، ومن الضروري ألا يُنظر فقط إلى الجانب السياسي

الاستبداد يُميت المواهب العقلية وسبب للتخلف.. والإذعان للعادات الجامدة عائق أمام العقل

عند الحديث عن الاستبداد، فهو حالة عامة في المجتمع وفي الأسرة والمدرسة ومؤسسات التربية، وحتى في المجال الأكاديمي، يقول الكواكبي: «الجهل يولّد الخوف، وكلما تنوّر العقل زال الخوف من المستبد»، أما الإذعان للعادات والتقاليد الجامدة فهو عائق كبير أمام العقل، يقول العقاد، في كتابه «التفكير فريضة إسلامية»: «الإسلام لا يقبل من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سُنّة آبائه وأجداده، ولا يقبل منه أن يلغي عقله خنوعاً لمن يُسخره باسم الدين في غير ما يرضي العقل والدين، ولا يقبل منه أن يلغي عقله رهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشداء»، كذلك يُضر ضعف الهمة وفتور العزيمة بالعقل، فيُقعده عن النهوض بمسؤولياته، والانطلاق نحول سُبُل الكمال، يقول ابن الجوزي، في كتابه «صيد الخاطر»: «من علامة كمال العقل علو الهمة».

ولكن كيف يمكن الحفاظ على قيمة العقل في العصر الرقمي؟ ذلك العصر الذي باتت فيه التكنولوجيا الرقمية تهدد العقل؛ سواء بتقليل قدراته مع إحلال الآلة محله، أو حالة الإدمان التي أصابت الكثير من البشر، وجعلتهم مذعنين للرقمنة وشاشاتها أكثر من نصف ساعات يقظتهم، أو حالة السطحية والقشرية المعرفية المتنامية مع انتشار التكنولوجيا الرقمية.

في كتابه «حماية دماغك في العصر الرقمي»[2]، يرى عالم الأعصاب «كارل دي مارسي» أن التكنولوجيا الرقمية خلقت حالة من الإلهاء، وأحدثت فوضى في أدمغتنا، مما تسبب في فقدان التوازن بين التكنولوجيا والحياة، ففقد الإنسان الكثير من علاقاته وذكائه الاجتماعي، وبات هناك «هوس» بالحصول على الإعجاب في مواقع التواصل الاجتماعي، وعن العلاقة بين ذلك وعلم الأعصاب والعقل يؤكد «مارسي» أنه حدثت تغيرات في الذاكرة والعاطفة، وطريقة معالجة العقل للمعلومات، وكيفية فهم سياقها، والترابط بينها، فهناك دلالات على حدوث تغيرات فسيولوجية في دماغ الإنسان، فأصبح الحصول على الإعجاب يحفز على إطلاق جرعة من الدوبامين[3] في الدماغ.

بل إن كثرة المشاهدة للعنف تغطي على العقل، وتدفع الإنسان لتقليده؛ ففي عام 2017م، أقدمت الفتاة البريطانية «مولي راسل» على الانتحار تقليداً لمشاهد عنف على الإنترنت، ففي تلك السن التي يتشكل فيها العقل قد تقف الرقمنة سداً منيعاً للحيلولة دون بناء عقل قوي ناقد قادر على التفكير المستقل، ولذا يُفهم تهديد بريطانيا بحظر مواقع التواصل الاجتماعي مع تنامي الأفكار الانتحارية، فالصحة العقلية مهددة مع

التكنولوجيا الرقمية أوجدت حالة من الفوضى بأدمغتنا أفقدت التوازن بين التكنولوجيا والحياة

الأخطر بالعصر الرقمي على العقل «التنميط» حيث تفكر الغالبية بطريقة متشابهة

يتم القضاء على الأهداف بالإلهاء والمقاطعة وهما من نتائج التكنولوجيا الرقمية

الإذعان للتكنولوجيا الرقمية، بل إن صحيفة «الجارديان» البريطانية، في 2021/1/6م، ذكرت أن آلاف الأطفال والمراهقين يدخلون المشافي بسبب اضطرابات النوم الناجمة عن استخدام الهواتف الذكية قبل النوم، وبذلك يدمرون صحتهم العقلية، وحذرت من أن الصحة العقلية للأجيال القادمة أمام خطر محدق.

لكن الأخطر مع العصر الرقمي بالنسبة للعقل هو «التنميط»، فالغالبية تفكر بطريقة تكاد تكون واحدة، ويؤشر ذلك لوجود إمكانية للتحكم في عقول الناس وتوجيهها، وربما هذا ما تسعى إليه شركات التسويق من خلال الحصول على بيانات عن أداء الأشخاص على الإنترنت، وتحليلها لتوجيه الغالبية نحو سلع أو خدمات بعينها، أي أن العقل بات محل استهداف وإخضاع وتوجيه في العصر الرقمي، مما يهدد قيمته.

التشتت الذهني

وفي العصر الرقمي، يعاني العقل من التشتت، لكثرة مطالعة الإنسان لهاتفه، وفي كتاب «العقل المشتت: العقول القديمة في عالم عالي التقنية»[4]، يؤكد عالم الأعصاب الأمريكي «آدم جازالي» أن الإنسان به جوع فطري للمعلومات، وأن هناك فجوة بين تلك الفطرة والقدرة على تحقيق الانتباه، ويذكر «جازالي» أن الإنسان يمتلك قدرة على التخطيط أكثر من قدرته على الاستمرار في التركيز في مهمة معينة، وهو ما يعني قابلية العقل الإنساني للتشتت، والاستجابة لمحفزات الإلهاء، وهي مسألة استغلتها الرقمية ببراعة، فشتت العقل من خلال طنين الاهتزاز مع كل إشعار أو تغريدة، وأوجدت متعة للإنسان في سماع صوت تلك الإشعارات التي لا تتوقف طوال اليوم والليل إلا قليلاً، وربطت ذلك بحوافز للدماغ تحقق له السعادة والمتعة مع كل تنبيه بالإعجاب لأحد منشوراته.

كما ينبه عالم الأعصاب الأمريكي «كريستوف كوخ» إلى القدرات الهائلة للعقل الإنساني قائلاً: «يحتوي الكمبيوتر الموجود في رؤوسنا على حوالي 86 مليار وحدة معالجة، تُعرف باسم الخلايا العصبية، منسوجة في شبكة موزعة بمئات التريليونات من الوصلات أو المشابك، وعلى مدار حياته، يمكنه تخزين حوالي مليار بايت من البيانات، أي 50 ألف ضعف المعلومات الموجودة في مكتبة الكونغرس»، فهذا العطاء الإلهي العظيم المتمثل في العقل يحتاج إلى معرفة قيمته وحمايتها ورعايتها.

ويشير «جازالي» إلى أن الأهداف يتم القضاء عليها بطريقين؛ أولهما: الإلهاء، وهو ضخ قدر من المعلومات ليس له علاقة بالهدف، يصرف العقل عن مبتغاه، وثانيهما: المقاطعة: وهي أن ينفصل الإنسان عن هدفه فترة زمنية، وكلاهما تصنعه التكنولوجيا الرقمية بكفاءة عالية، وكلاهما يندرج تحت عنوان «التشتت الذهني»، وتؤكد الدراسات أن الإنسان يحتاج إلى حوالي 25 دقيقة ليعود إلى مهمته إذا تعرض للمقاطعة، وإذا كان الهاتف يقطع الانتباه في الساعة الواحدة أكثر من 5 مرات، فمعنى هذا أن الهدف يضيع ويتبخر ولا يتبقى منه إلا رواسبه الثقيلة فقط، وتشير الدراسات إلى أن تعدد المهام في الوسائط الرقمية يزيد العبء على الذهن، ويصرفه عن التركيز، فتكثر الأخطاء، بل من أسباب إعاقة التعلم.

ويقترح «جازالي» مقاومة نداء الصفارة؛ أي الإشعارات التي يطلقها الهاتف؛ حفاظاً على الذهن من التشتت، وعلى الهدف من الضياع، وهذا يستلزم تغيير السلوك اليومي، وإتاحة مساحة لحماية قيمة العقل، فإذا كان الشخص يتبع الحمية الغذائية ويطالع الفوائد الصحية للأطعمة، فالواجب عليه أن يطالع أساليب الحفاظ على عقله، وضبط إغراءات الرقمية، يقول «نيكولاس كار» في كتابه «المياه الضحلة: ما يفعله الإنترنت بأدمغتنا»: «عندما نبدأ في استخدام «الويب» كبديل للذاكرة الشخصية، فإننا نجازف بإفراغ عقولنا من ثرواتها».■

الهوامش

(1) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي فَيَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْماً» (رواه النسائي).

(2) Rewired :Protecting Your Brain in the Digital Age.

(3) الدوبامين: هرمون يعزز الشعور بالسعادة.

(4) The Distracted Mind: Ancient Brains in a High-Tech World.

باحثون ومختصون لـ«المجتمع»:

وسائل التواصل سلاح ذو حدين وعلينا توجيهه لحماية القيم

أكد عدد من المختصين والمعنيين بالشأن القيمي والباحثين في مجال وسائل التواصل الاجتماعي أن هذه الوسائل سلاح ذو حدين؛ ففي أحد جوانبها الخير، وفي الآخر يكمن الشر؛ ولذا لا بد من التعامل معها بحذر للاستفادة من الإيجابيات والنجاة من المخاطر والسلبيات؛ ويكمن الجانب الأول منها في أنها مفتوحة لنشر الخير وقيم التكافل ومناصرة المظلومين وفضح الفساد ونشر المعلومات النافعة، والبحث عن فرص العمل وغيرها من المحاسن؛ بينما يكمن الجانب الآخر في أنها باب خلفي للإباحية ونشر الشائعات والأكاذيب والتشهير والأفكار الهدامة وإضاعة الوقت بإدمانها.

وحول أثر وسائل التواصل في القيم إيجاباً وسلباً، كان لنا هذا التحقيق مع عدد من المختصين من عدة دول عربية.

تحقيق- محمد الجيزاوي
والمحرر المحلي:

بداية، وحول القيم ودورها في حماية المجتمع، يؤكد الإعلامي اليمني **وديع عطا** أن القيم هي المعايير العملية التي يمكن أن تقاس بها صحة واستقامة المجتمع، أو اعوجاجه واعتلاله وضعفه، مضيفاً أن المجتمع الحي يمثل سياجاً للقيم وحارساً للفضائل التي تعزز سلامته الأهلية، والقيادة القدوة في أي مجتمع جديرة بأن تخلق مجتمعاً خلوقاً ذا قيم تغبطه عليها الشعوب، وبداية ذلك من الفرد ثم الأسرة.

وحسب عطا، فإن مجتمعاتنا العربية والإسلامية باتت أحوج للاستقامة وإحياء القيم والتخلص من كل الممارسات الدخيلة؛ ما يستدعي تضافر الجهود بين السلطة والمجتمع بعيداً عن أساليب الإجبار والترهيب.

نشر الفضيلة

وأشار أستاذ علم النفس في جامعة الكويت **د. خضر البارون**، إلى أن وسائل التواصل أداة مهمة من أدوات التغيير، فهي تساعد على التفاعل مع الآخرين بمختلف الأنشطة، وتبادل المعلومات والآراء والأفكار واكتساب خبرات وثقافات متنوعة، وهي بذلك تتخطى الحدود والحواجز؛ ما يجعلها سلاحاً ناجعاً في نشر الفضيلة وترسيخ القيم بين فئات عدة في المجتمعات.

ووصف البارون، في تصريح لـ«المجتمع»، العصر الحالي بأنه عصر الاتصالات والبرامج الذكية، التي فرضت وجودها في جميع أنحاء العالم، واليوم تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي من بين أهم الوسائل التي تسهم في إحداث تغييرات نوعية في مجمل العلاقات الاجتماعية والثقافية، إلا أنها في الوقت نفسه أصبحت تثير مخاوف حقيقية لدى الأهل والمسؤولين؛ من أن يؤدي الاستخدام الواسع والمفتوح لدى فئة الشباب لهذه البرامج دون قيود أو حدود إلى حصول آثار سلبية على منظومة القيم

الأخلاقية والسلوكية والدينية.

وبين أنه على الطرف الآخر، حسابات وهمية وراءها شخصيات متوارية تعاني خللاً نفسياً في التواصل مع المجتمع والآخرين، هؤلاء لا يقوون على المواجهة ولا التصريح بآرائهم بشجاعة؛ لأنها شخصيات تعاني من الخوف ويسيطر عليهم الوهم، لذا يعتقدون أن هذا العالم الافتراضي يخفي شخصيتهم الحقيقية، ويعتقدون أن الملعب أمامهم خال للإساءة للمجتمع وإطلاق الإشاعات والإساءة للآخرين، لكن الأخطر أن هؤلاء الأشخاص يمكن أن يكونوا أداة أو ألعوبة في يد آخرين والجهات التي تضمر العداء للمجتمع، ويستخدمونهم بسهولة في تحقيق أهدافهم ببث الفرقة والخلافات بين أفراد المجتمع.

وأكد البارون ضرورة إغلاق الحسابات الوهمية، كما يجب التعامل مع أي إساءة تصدر بحق أي مجموعة من الناس أو جهات حكومية من خلال جزاءات مشددة تهدد من يقف وراء تلك الإساءات، مبيناً أنه عند الحديث في وسائل التواصل الاجتماعي يجب أن يكون الحديث بلغة ومفردات محترمة، وعلى المتلقين أن يدققوا فيما يتلقون من خلال مواقع التواصل؛ فهذا الشخص الوهمي لم يخفِ شخصيته إلا لأنه خائف أو يعمل لمصلحة جهات أخرى، ومن ثم يتعين التحقق من هوية مَنْ نقرأ له.

ذات تأثير كبير

ومن الكويت أيضاً، حيث يقول أستاذ علم الاجتماع بجامعة الكويت **د. يعقوب الكندري:** عندما نتحدث عن وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في ترسيخ القيم في المجتمع، فنحن نتحدث عن وسائل الإعلام ودورها في التنشئة الاجتماعية التي تغرس من خلالها القيم الاجتماعية لدى أفراد المجتمع المحلي، وهناك مجموعة من المؤسسات التي تمارس قيماً إيجابية داخل نفوس الأبناء؛ منها الأسرة والمدرسة والأقران والقانون والإعلام الذي يعتبر إحدى أهم المؤسسات التي تغرس هذه القيم.

وأكد الكندري، في تصريح لـ«المجتمع»، أن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت ذات تأثير كبير في مختلف الجوانب الحياتية، مبيناً أن هناك العديد من المجتمعات العربية تواجه عدداً من التغيرات الاجتماعية والثقافية لدى أبنائها، التي أثرت في منظومة القيم لدى الأفراد وتصرفاتهم وسلوكهم وعلاقاتهم مع الآخرين؛ إذ إن ظهور قيم جديدة قد يكون له تأثير سلبي في شخصياتهم وسلوكهم، والعكس صحيح.

وبين الكندري أن هناك أدواراً سلبية تقوم بها هذه الشبكات من خلال سوء استخدامها، مثل: الإفراط في التفاعل معها، أو توجهات بعض الصفحات المشبوهة؛ فهناك خوف من أن ينشأ جيل مشبع ببعض الأفكار والقيم والمعتقدات المخالفة تماماً لقيمنا وأعرافنا وعاداتنا ومعتقداتنا الإسلامية بسبب ما يبث على بعض هذه الصفحات، مؤكداً أن النجاح في مواجهة التحديات يستند إلى كيفية استخدام تقنيات وسائل التواصل الاجتماعي بصورة إيجابية.

البارون:

الحذر من حسابات وهمية وراءها شخصيات تعاني خللاً نفسياً في التواصل مع المجتمع

الكندري:

هناك خوف من أن ينشأ جيل مشبع ببعض الأفكار المخالفة لقيمنا

ومن المغرب، يؤكد **محمد الرياحي الإدريسي**، عضو المكتب المركزي للهيئة المغربية لنصرة القدس وفلسطين، أن أثر وسائل التواصل الاجتماعي في القيم إيجاباً وسلباً قائم ولا بد من إدراكه والتعامل معه بوعي للاستفادة من إيجابيته ومعالجة تلك السلبيات.

ويقول الإدريسي: إن لوسائل التواصل الاجتماعي بمختلف ألوانها وأشكالها دوراً فعالاً في توعية وتثقيف الشعوب، ومما ينبغي التأكيد عليه أن هذه الأهمية ازدادت حدة في السنوات الأخيرة التي عرفت عدة أزمات؛ سواء اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية أم صحية، كما هي الحال مع الأزمة الصحية التي يمر بها العالم اليوم.

وعن أبرز إيجابيات وسائل التواصل، يلخصها الإدريسي في سرعة تداول المعلومات والأخبار والقضايا؛ ما يجعلها في الوقت الراهن أسرع وسيلة لتداول الأخبار والمعلومات عبر العالم الذي تحول إلى قرية صغيرة، كما تحولت إلى فضاء رحب للبحث العلمي والتوعية والتثقيف، وأضحت وسائل التواصل مجالاً ميسراً للبحث العلمي بمختلف أنواعه، ووسيلة للبحث عن فرص عمل للكثير من الشباب.

أضف إلى ما سبق، أنها تحولت إلى فضاء للنقاشات، وقد أظهرت السنوات الأخيرة أن لهذه الوسائل دوراً في النقاش الحر للعديد من القضايا دون قيود أو حدود، وقد رأينا كيف انتشرت على «فيسبوك»

في سنوات «كورونا» الندوات والمحاضرات المنظمة عن بُعد، كما أنها أيضاً ساحة للنشاط الاقتصادي والمعاملات المالية والأعمال الخيرية ونشر قيم التضامن والتكافل الاجتماعي، كما ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في التصدي للظلم وفضح الظالمين وناهبي الحقوق عبر العالم خدمة للصالح العام، من خلال رصد ومراقبة وتقييم كل ما يجري داخل المجتمع، تصحيحاً للسياسات الخاطئة والمتهورة في بعض الأحيان، وسعياً لتحقيق المصلحة العليا للوطن.

الأكاذيب والشائعات

لكن الإدريسي يرى أنه رغم الإيجابيات السابقة، فإن هناك سلبيات كثيرة لهذه الوسائل، من أخطرها أن فضاء التواصل الاجتماعي مليء بالأكاذيب والشائعات التي قد نسقط في مستنقعها إن لم يتم تحري الحقيقة، كما أنها قد تؤدي إلى التحريض على الكراهية والعنف، فضلاً عن كونها مجالاً مفتوحاً على مصراعيه للمواد الإباحية الهادمة للأخلاق.

كما أنها أيضاً، حسب الإدريسي، مجال لهدر الوقت وترك الصلاة والانشغال عنها؛ حيث إن الإبحار داخل هذا الفضاء دون ترتيب للأولويات والاهتمامات، والمبالغة في الاهتمام بالتفاصيل يؤدي حتماً لهدر الوقت، ومن ثم يصاب الشخص بـ«إدمان» وسائل التواصل الاجتماعي الذي قد يتسبب في التفكك الأسري وانعزال أعضاء الأسرة عن بعضهم بعضاً، وغياب روح التلاحم والاندماج المطلوب في عائلاتنا، كما قد يؤدي إلى بروز ظاهرة الانطوائية وغيرها من الأمراض النفسية.

ويستطرد الإدريسي: علاوة على أن وسائل التواصل الاجتماعي قد تشغل عن التحصيل العلمي النافع، وعن الدراسة، وقد

الإدريسي:

تحولت إلى فضاء رحب للبحث العلمي والتوعية والتثقيف

قد تؤدي إلى التحريض على الكراهية والعنف وعرض الإباحية

تؤدي إلى عدم أداء الوظائف على حقها، ولهذا نجد أن بعض الشركات منعت موظفيها من الولوج إليها في فترات العمل، والأخطر من هذا كله أن لهذه الوسائل أضراراً صحية خطيرة على العينين والعنق والدماغ.

وانتهى الإدريسي إلى أنه في ظل إيجابياتها وسلبياتها ولكي نتفادى الأضرار الخطيرة التي قد تحدثها وسائل التواصل الاجتماعي إن لم يتم توظيفها على الوجه المطلوب، يبقى من الضروري أن نطرح هذين السؤالين: هل المفروض أن نتحكم نحن في وسائل التواصل الاجتماعي، أم نتركها تتحكم هي فينا؟ وبأي تربية وأخلاق وقيم يجب أن نلج هذا الفضاء؟

ومن عاصمة الضباب (لندن)، يؤكد وكيل وزارة الصحة المصرية الأسبق **د. مصطفى جاويش** أن منظومة القيم تتأثر بلا شك إيجاباً وسلباً بوسائل التواصل الاجتماعي شئنا أم أبينا، حيث تعتبر منظومة القيم الأخلاقية والسلوكية بمثابة السياج الواقي للفرد وللمجتمع.

وأضاف أنه لقرون طويلة ظلت مؤسسة الأسرة هي المصدر الرئيس لتنشئة الفرد، ثم يتوالى بعدها منظومات تربوية متداخلة، تبدأ بالكتاتيب ثم المدرسة بمراحلها، لتصل

به إلى التعليم العالي في سلسلة تربوية متناسقة ومتوالية وبشكل تدريجي شبه هرمي يصل إلى قمته تدريجياً حسب المراحل العمرية والتنوع النسبي لكل مرحلة.

وأوضح جاويش أن هذا التسلسل التربوي الهرمي تبدل وتغير كثيراً خلال العقدين الأخيرين، فمع ظهور تقنيات حديثة بلغت مداها حالياً بالانتشار السريع والمتنوع لوسائل التواصل الإجتماعي، تراجع وتهمش دور الأسرة تدريجياً، كما تراجع دور المدرسة وسبق ذلك عمداً خلق فجوة تربوية بالمجتمعات الإسلامية بإلغاء دور الكتاتيب؛ ليصل الشاب إلى المرحلة الجامعية وعينيه على الجهاز الرقمي بيده، والأصوات تصل إلى أذنيه لتعزله عن محيطه الخارجي.

جاويش:

دور الأسرة والمدرسة تراجع تدريجياً وهناك فجوة تربوية نتيجة إلغاء الكتاتيب

وأشار د. جاويش إلى أنه لا أحد ينكر الأهمية البالغة لوسائل التواصل الاجتماعي في سد الفجوة المعرفية اليوم، رغم بُعد المسافات المكانية والزمانية، وفي إيجاد مساحات واسعة من التبادل المعرفي والنمو الثقافي وتبادل الخبرات في عالم أصبح بمثابة قرية صغيرة، ولكن وفي مفارقة عجيبة؛ فقد تراجعت إلى حد كبير مساحة التواصل داخل الأسرة الواحدة، وأصبح مألوفاً تواجد أفراد الأسرة جميعاً في حجرة واحدة ولكن لكل منهم شأنه الخاص وعالمه المنفرد.

وشدد جاويش على أهمية العودة إلى دور مؤسسة الأسرة، وإعادة بنائها بتقوية التواصل الشخصي المباشر وجهاً لوجه، وابتكار فعاليات جديدة لزيادة الترابط والتفاعل بين الأفراد؛ الذي قد يبدأ بترتيب جلسات جماعية حول ما يشغل كل فرد منهم من مشاهدات على وسائل التواصل؛ ما سيؤدي بدوره إلى محاولة كل منهم تحسين اختيار موضوعاته من ناحية، وتنمية روح التواصل بينهم من ناحية أخرى، وفي هذا ضمان للعودة إلى المرجعية السليمة في التربية، وفق القيم المجتمعية السليمة والقائمة على أسس تفيد الفرد والأسرة ويمتد تأثيرها إلى المجتمع.

ترتيب سلم القيم

ومن الجزائر، يؤكد القيادي في حزب البناء الوطني **كامل كارابة** أن التكنولوجيا الرقمية نقلت العالم إلى حالة جديدة تلاشت فيها الحدود الجغرافية والثقافية والاجتماعية، ثم جاءت وسائل التواصل الاجتماعي لتنشئ عالماً افتراضياً تشكل معالمه وقيمه، وتتحكم في توجيهات محتواه قوى مهيمنة على هذا القطاع، وجدت ضالتها في سبيل الاغتناء بما يدره من أرباح ضخمة.

ومما يتيح لها أيضاً من أدوات لإعادة ترتيب سلم القيم بشكل شمولي يتجاوز الموروث القيمي لمختلف المجتمعات، ويلغي كل خصوصية ثقافية في سبيل تعميم نمط واحد من السلوك الإنساني يطبعه النهم الاستهلاكي لكل ما تسوقه، والتأثر بما تسوقه هذه الوسائط من مادة على شاشات سرقت أعماراً بأكملها.

ويقول كارابة: لعل ما يواجه مجتمعاتنا المسلمة التي لا تحوز على أي تأثير في عالم صناعة المحتوى لعدم امتلاكها لمنصات مستقلة ما يجعلها عرضة للهجوم الممنهج على قيم المجتمع المسلم، وحملات تمزيق نسيجه المجتمعي الذي ظل متيناً طيلة عقود من حملات الحقبة الاستعمارية، إضافة إلى محاولات المساس بمقومات الهوية ووحدة الأوطان باستهداف إحياء نعرات التفرقة بين المكونات الاجتماعية التي تعايشت لقرون بتنوعها وتعددها.

ولكن هذا كله لم يمنع كثيراً من العاملين والمؤسسات والنخب والإعلاميين والباحثين ورواد العمل الإصلاحي والخيري من تحويل هذه المنصات إلى وسيلة إيجابية ومنطلق للوصول إلى شرائح واسعة في المجتمع، وبناء جبهة للحد من التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي؛ بل واستطاعت أن تحولها إلى أداة فعالة لصناعة الوعي ونشر الفضيلة والتشبيك بين النشطاء في مختلف مجالات العمل الاجتماعي.

ويوضح كارابة: من إيجابيات هذه الوسائل التي تتجلى في أكثر الأوقات حساسية مرت بها شعوبنا حيث وقفنا في الجزائر خلال أسابيع مليونيات الحراك الشعبي، كيف استطاعت وسائل التواصل هذه أن تكون موجهاً فعلياً للحفاظ على السلمية، ووحدة المطلبية، والروح الجامعة لتطلعات الشعب الواحد، خالية من كل مشاهد العنف وخطابات التفرقة أو الانزلاق في مسارات تحطيم البلدان.

ويعدد كارابة إيجابيات وسائل التواصل التي بدت بوضوح في خلق حالة التضامن الوطني بين أبناء الجزائر جراء مواجهة الحرائق الكبيرة، الصيف الماضي، التي مست عدداً من الولايات ولا سيما ولايتي بجاية وتيزي وزو، التي طالما سعت جهات أجنبية لعزلها عن عمقها الوطني، فتحولت هذه المأساة إلى حالة تلاحم وطني وشعبي بفضل وعي رواد منصات التواصل الاجتماعي.

ويشير إلى أن هذا الوعي الجماعي المتزايد بإمكانه الوقوف أمام حالة الردة عن نصرة القضية الفلسطينية، وبإمكانه أن يكون مرتكزاً لإعادة القضية إلى مقدمة واجبات الشعوب المسلمة، ولعل ما شهدته بطولة «كأس العرب» الأخيرة وحضور فلسطين في قلب المشهد الرياضي يعكس توجهات جماهيرية وفية لقضيتها المركزية،

متحدية كل أشكال ومحاولات التطبيع، وكانت المنصات الإلكترونية فضاء لتشكيل هذه التوجهات.

ثورات «الربيع العربي»

ومن قطاع غزة بفلسطين، يؤكد **د. ناجي الظاظا**، الأكاديمي والمحلل السياسي، أنه في كل زمن تأخذنا التكنولوجيا باتجاه تغييرات مجتمعية وثقافية تؤثر على عاداتنا وسلوكياتنا اليومية، وتعتبر شبكات التواصل الاجتماعي اليوم إحدى أهم تلك الأدوات التكنولوجية، فهي تشكل عالماً افتراضياً له طبيعته المجتمعية التي لا تقف عند حد المكان أو الزمان أو الجنس أو حتى اللغة، كما أنها متعددة الأنواع والطرق في التعاطي مع الطبيعة البشرية التي تميل إلى التواصل مع الآخر والإعلان عن الذات، سواء بالكتابة كما في «تويتر»، أو بالصورة كما في «إنستجرام»، أو الفيديو كما في «يوتيوب».

ولعل المجتمع العربي ليس بعيداً عن ذلك العالم الافتراضي، بل هو في صلبه؛ لما تمثله تلك الشبكات من فضاء واسع للتعبير عن همومه والمطالبة بحاجاته، في ظل ضيق، بل انعدام الهامش الإعلامي الرسمي الذي يعكس الواقع العربي والإسلامي.

الظاظا:

تمثل فضاء واسعاً للتعبير عن الهموم في ظل انعدام الهامش الإعلامي الرسمي

كما أن انبهار المواطن العربي والفلسطيني بسرعة انتشار ما يكتب أو يصور عبر العالم وحجم التفاعل الافتراضي معه قد ولّد لديه ما يمكن أن نسميه «وهْم التغيير»، فرأينا مبادرات شبابية لتنظيم حراك هنا أو هناك اعتماداً على «هاشتاج» أو صفحة «فيسبوك» سرعان ما يتفاجأ منظموها بفشلها وفتور الاستجابة لها، بل وعدمها أحياناً.

ويقول د. الظاظا: لعل الاستحضار الخاطئ والقراءة السطحية لدور شبكات التواصل الاجتماعي في ثورات «الربيع العربي» هما اللذان أنتجا ذلك الوهم، وعززا الشعور (الوهمي) بأن العالم الافتراضي هو نسخة محسنة عن الواقع الحقيقي!

ونفى الظاظا أنه قد يقلل من شأن ذلك الفضاء، ولا يمكنه تجاهل أهميته في نشر الأفكار ومشاركة المعرفة بين ملايين الناس بأسرع وقت مرّ على البشر؛ غير أنه يدعو إلى الانتباه إلى أن الواقع الحقيقي هو ما يعيشه الناس لا ما يحلمون به، وأنه الواقع الذي يبنون مستقبلهم من خلاله؛ ففيه الأرض التي تُزرع والماء الذي يُشرب والبيئة التي يعيش فيها الفقراء بلا مأكل، والمساكين بلا مسكن، والبطالة بلا حل.

السبعاوي:

نتاج غربي أمريكي وهي منحازة لدول المنشأ و«إسرائيل» لكن لا يمكننا الاستغناء عنها

نتاج غربي أمريكي

أما الباحث في التاريخ والمحلل السياسي **حسين صالح السبعاوي**، فيرى أن مواقع التواصل الاجتماعي هي نتاج غربي أمريكي، ونحن مستهلكون لها، وهذا يعني أننا لسنا أصحاب القرار فيها، ولا نستطيع أن نغيّر من سياستها وطريقة أدائها وتعاطيها مع قضايانا المصيرية، كما أنها منحازة لدول المنشأ و«إسرائيل» في كثير من القضايا، وهذا ما لاحظناه في موقعي «فيسبوك»، و«إنستجرام».

لكنه أكد أن هذه الوسائل بها فوائد كثيرة؛ فهي تفيد الطالب والموظف ورب الأسرة سواء من خلال الاتصال المباشر أو غير المباشر، وتفيد في معرفة ما يحدث من أخبار وأحداث عالمية بصورة عاجلة، خصوصاً أن مواقع التواصل ساهمت في نقل الأخبار قبل القنوات الفضائية، وأصبحت متابعتها أكثر من متابعة الفضائيات، كما ساهمت في تحشيد الناس سواء القيام بمظاهرة أو لرفع الظلم أو فضح الظالم، فأصبح الجميع يخشى هذه المواقع ويحسب لها ألف حساب.

لكن يبقى السؤال: كيف نستخدم هذه المواقع؟ وكيف نتعامل معها؟

ويجيب السبعاوي: بالتأكيد أن مواقع التواصل الاجتماعي سلاح ذو حدين، حسب تعامل المستخدم معها؛ وأنه لا يمكن الاستغناء عنها الآن؛ فهي مصدر المعلومات ومصدر التواصل حتى في القضايا المالية والاقتصادية عموماً؛ فلا يمكن لأحد أن يستغني عنها سواء كان فرداً أم جماعة أم مؤسسة.

وحول رؤيته للتعامل مع مواقع التواصل، أكد أنه يفترض أن تكون بمهنية واحترام القوانين الصادرة منها لغرض الاستمرارية حتى لا يغلق الحساب من الموقع ومن ثم تفقد متابعيك بلحظة نتيجة خطأ.

كما نصح بعدم الإفراط في التعامل معها إلى درجة ترك الواقع الميداني للمجتمع، ونبه بعدم فتح حساب للأطفال أو حتى للبالغين إذا لم تكن هناك ضرورة لاستخدامه.

والخلاصة، حسب السبعاوي، أنه يجب أن نحسن استخدام مواقع التواصل، وإلا سوف نخسر الكثير، خاصة أننا لا نستطيع الاستغناء عنها.■

مقال

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

في ظلال خيبر (7)

للمسلمين الغنائم ولليهود الهزائم

وما زالت جرائم بني صهيون صواعق على أهل فلسطين؛ يجرفون الزروع ويهدمون البيوت ويسحلون البشر بجرافاتهم ورافعاتهم في حي الشيخ جراح وغيره، وما زالت جريمة قتل الشيخ سليمان الهذالين عالقة في الذهن، حيث استُشهد وهو يمنعهم هدم بيته، وجريمة قتل شيخ في الثمانين هو عمر عبدالمجيد أسعد بعد ضربه، رحمهما الله تعالى.

هؤلاء الإرهابيون لا يوقف جرائمهم وفسادهم إلا المقاتلون المجاهدون في سبيل الله تعالى.

ومن خلال «ظلال خيبر»، نعرف تأديب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأسلاف هؤلاء المعتدين الإرهابيين.

«ولما رجع مهاجرو الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري، حامل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي، اتجه طائفة منهم إلى خيبر، وهم ستة عشر رجلاً، فيهم جعفر بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، رضي الله عنهم أجمعين، فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر، وقبل أن يقسمها، فقبَّل النبي صلى الله عليه وسلم جعفراً وقال: «والله ما أدري بأيهما أفرح؛ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟»، ولما قسَّم خيبر أعطاهم من الغنيمة، وأما بقية مهاجري الحبشة فذهبوا مع نسائهم وذراريهم إلى المدينة رأساً.

ووافاه أيضاً بخيبر بعد أن تم الفتح أبو هريرة رضي الله عنه، وكان قد جاء إلى المدينة بعد خروجه صلى الله عليه وسلم إلى خيبر، فأسلم، ثم استأذن وخرج إلى خيبر، فأعطاه رسول صلى الله عليه وسلم من غنيمة خيبر.

ووافاه بعد الفتح أيضاً أبان بن سعيد، وكان قد خرج بسرية إلى نجد، فلما قضى مهمته جاء إلى خيبر، ولم يعط له ولأصحابه من غنيمة خيبر.

ولما حصل اليهود على الأمان، جاؤوا باقتراح جديد قبل أن يتم جلاؤهم، فقالوا: يا محمد، دعنا في هذه الأرض، نصلحها ونقوم عليها، فنحن أعلم بها منكم، وتعطينا نصف ما يخرج منها من الثمر والزرع، فرضي بذلك على أن يجليهم منها متى شاء.

فبقوا على ذلك حتى أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سلكوا طريق الشر والخبث.

وقسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر على ستة وثلاثين سهما، كل سهم مجموع مائة سهم، فعزل منها النصف، وهو ثمانية عشر سهماً لنوائب المسلمين، وقسم النصف الباقي، وهو ثمانية عشر سهماً، على الغزاة، فأعطى للراجل سهماً، وللفارس ثلاثة أسهم، سهماً له وسهمين لفرسه، وكان الفوارس مائتين، فصارت لهم ستة أسهم، والراجلة ألفاً ومائتين فصار لهم اثنا عشر سهماً.

وكانت خيبر غنية بالتمر والطعام، قالت عائشة رضي الله عنها: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر، ورد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم من النخيل بعدما رجعوا من خيبر إلى المدينة.

شاة مسمومة:

وبعدما عاد الهدوء، وذهب الخوف، عاد اليهود إلى خبثهم، وتآمروا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فأهدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة بواسطة امرأة بن مشكم، أحد كبرائهم، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الذراع، فأكثرت السم فيه، وتناول منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاكها، ثم لفظها، وقال: «إنها شاة مسمومة»، وسأل المرأة واليهود فاعترفوا بجريمتهم، قالوا: قلنا: إن كان ملكاً نستريح منه، وإن كان نبياً لا يضره، فعفا عنهم وعن المرأة، ثم إن بشر بن البراء بن معرور مات من أجل هذا السم، فأمر بقتل المرأة قصاصاً.

استسلام أهل فدك:

فدك قرية في شرق خيبر على بعد يومين، تعرف اليوم بـ«حائط»، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل محيصة بن مسعود إلى يهود فدك بعد وصوله إلى خيبر، ليدعوهم إلى الإسلام، فأبطؤوا عليه، فلما سمعوا بفتح خيبر داخلهم الرعب، أن يعامل بهم معاملة أهل خيبر، فقبل ذلك منهم، فكانت أرض فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق منها على نفسه، ويعول صغير بني هاشم ويزوج أيمهم»[1].

دعوة للأئمة والخطباء والمعلمين والمربين والدعاة:

ليس لنا إلا دراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد دراسة كتاب الله تعالى.

إن جيل النصر المرتقب والمنشود بإذن الله تعالى ليرتقي ويصلب عوده ويقوى إيمانه ويعظم ثباته بدراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مواجهة عناد الأعداء ومكرهم وتربصهم.

فالإمام في مسجده والخطيب على منبره والمعلم في مدرسته أو معهده وجامعته ليحتاج إلى استخراج كنوز القيم ودرر الحكم من مواقف جهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام الميامين الذين جاهدوا في الله حق جهاده فهداهم الله سبله؛ لأنهم كانوا مخلصين صادقين محسنين.

نريد صرخة داعية مخلص صادق:

المـــــرأةُ الـــشَّـــلاءُ تحـــمـــي بـيـتَـهـا
أنَّـبـيـحُ بـيـتَ الخـالـقِ المـعـبـودِ؟[2]

والحمد لله ربّ العالمين.■

الهامشان

(1) روضة الأنوار، صفي الرحمن المباركفوري.
(2) فصول في الثقافة والأدب، علي الطنطاوي.

باريس- د. محمد الغمقي:

الأزمة الأوكرانية..

أجواء الحرب تخيم على أوروبا

تعيش أوروبا منذ أسابيع أجواء الحرب بسبب الأزمة الأوكرانية التي تشهد تصعيداً منذراً بحرب مفتوحة، الإشكال هو أن القارة العجوز تشهد ما يدور على حدودها الشرقية وهي مغلوبة على أمرها؛ فالصراع الحقيقي هو بين طرفين (روسي وأمريكي)، كل له مصالحه الإستراتيجية، وإن كان الصراع في ظاهره بين حلف شمال الأطلسي (ناتو) وموسكو.

كشفت الأزمة الأوكرانية عن مدى تراجع الكتلة الأوروبية في ميزان القوى الدولي، مع العلم أن هذه الأزمة ليست الأولى من نوعها؛ فقد سبق لموسكو أن عمدت إلى ضم جزيرة القرم متحدية القرارات الدولية، واليوم تضع عينها على أوكرانيا التي أظهرت تمرداً على الدب الروسي منذ استقلالها من الاتحاد السوفييتي في التسعينيات، وليس أمام أوروبا سوى خطاب التهديد بعقوبات وخيمة، بينما تدرك أن مصالحها مهددة في حال نشوب حرب على الحدود الشرقية.

ومما زاد الأمر تعقيداً التباينات في المواقف الأوروبية حول السياسة الخارجية والموقف من روسيا أساساً، في هذا السياق؛ يمكن تنزيل موقف جهات رسمية ألمانية سياسية وعسكرية أحدثت جدلاً في الأوساط الألمانية وعلى المستوى الإقليمي الأوروبي والغربي، ووصل التعقيد إلى حد قيام قائد البحرية الألمانية «كاي أشيم شونباخ» بتقديم استقالته من منصبه بعد تصريحات مثيرة للجدل بشأن الأزمة في أوكرانيا، وكان نائب الأميرال قد صرح خلال

اجتماع لمجموعة دراسات في نيودلهي أن ما يريده الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» هو «الاحترام»، وأن فكرة غزو روسيا لأوكرانيا «حماقة».

ومعلوم أيضاً وجود تباين كبير بين المستشار الألماني الجديد «سولتش»، وهو من الحزب الاشتراكي، ووزيرة الخارجية «أنالينا بيربوك»، وهي من حزب الخضر، بخصوص مواقف ألمانيا من سياسات روسيا والعلاقة معها إلى حد تهديد الائتلاف الحكومي الحالي؛ فموقف وزيرة الخارجية أقرب ما يكون للموقف الأمريكي الذي ينادي باتخاذ إجراءات فعالة مع الشركاء الأوروبيين، إذا استخدمت روسيا الطاقة كسلاح، أو إذا كان هناك المزيد من الإجراءات العدوانية.

سياسة جديدة

أما «شولتس»، فلئن كان يلتقي مع وزيرة الخارجية في المطالبة بإنهاء فوري لمحاولات زعزعة استقرار أوكرانيا، والعنف في شرقي أوكرانيا وضم شبه جزيرة القرم المخالف للقانون الدولي -كما جاء في إطار اتفاق الائتلاف الحكومي بشأن العلاقة مع روسيا بشكل عام- إلا أنه يرى أن أوروبا بحاجة لسياسة جديدة تجاه روسيا وشرق أوروبا سيراً على خطى «فيلي براندت»، أول مستشار اشتراكي في السبعينيات من القرن الماضي، الذي كان يدعو إلى سياسة الانفراج وعدم التصعيد مع الاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت.

وظهر هذا التباين في المواقف منذ الحملة الانتخابية، حيث هاجمت «بيربوك» خط أنابيب نقل الغاز الروسي «نورد ستريم2»، باعتباره مشروعاً سيجعل ألمانيا أسيرة سيد الكرملين «بوتين» فيما يتعلق بسياسة الطاقة، حسب رأيها، في حين ينظر «شولتس» إلى خط الأنابيب هذا على أنه مجرد مشروع اقتصادي خاص تماماً بعيد عن السياسة؛ بل إن المستشار الألماني يريد توظيف المادة (65) من القانون الأساسي من الدستور الألماني التي جاء فيها: «يضع المستشار الاتحادي الخطوط العامة لسياسة الحكومة ويتحمل مسؤوليتها، ويدير كل وزير اتحادي مجال مهامه في إطار تلك الخطوط العامة باستقلالية وعلى مسؤوليته الشخصية»، من أجل تحديد المسار السياسي والخطوط الكبرى للعلاقات الخارجية سيراً على طريقة المستشارة السابقة «أنجيلا ميركل».

ليس أمام أوروبا إلا التهديد بالعقوبات مدركة أن مصالحها في خطر إذا نشبت حرب على الحدود الشرقية

هناك ضعف في كتلة الاتحاد الأوروبي أمام قوة روسيا من ناحية وقوة أمريكا من ناحية أخرى

وإذا أضفنا هذا التباين في المواقف على المستوى الألماني إلى الخلافات بين الدول الأوروبية في قضايا عدة، منها السياسة الصحية وموضوع الهجرة غير المنتظمة والسياسة الاجتماعية في مسألة الإجهاض وغيرها، فإن الحصيلة هي ضعف كتلة الاتحاد الأوروبي أمام القوة المتنفّذة لروسيا في العديد من المناطق في أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا من ناحية، وضعف هذه الكتلة الأوروبية أمام القوة الأمريكية من ناحية أخرى، التي تسعى إلى ملء الفراغ بالإمساك بالملف الأوكراني، والهيمنة من خلاله على القرار الأوروبي الهش، خاصة بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (بريكست)، وظهور مؤشرات لدعوات باسم الحفاظ على السيادة الوطنية لقوى شعبوية أوروبية تنادي بالانفصال عن الاتحاد.

«ماكرون» يسعى إلى توظيف رئاسته للاتحاد لتحقيق مكاسب انتخابية

لتركيا مصالحها الإستراتيجية التي تدعوها للإمساك بالعصا من المنتصف بين عضويتها بـ«الناتو» وعلاقتها مع روسيا

وهناك تخوف من تغول أمريكي على القرار الأوروبي، وتوظيف الأزمة الأوكرانية لإحياء مشروع «مارشال» بنسخة جديدة تحت غطاء ضمان القوة الدفاعية في ظل حلف شمال الأطلسي (ناتو).

في هذا السياق، جاء الاجتماع التنسيقي الافتراضي الذي دعا إليه الرئيس الأمريكي «جو بايدن»، وحضره عدد من الرؤساء والشخصيات الأوروبية، وخرج بالتهديد بعقوبات وخيمة ضد موسكو التي حشدت أكثر من مائة ألف جندي على الحدود الأوكرانية، ولعل ظهور الرئيس الفرنسي «إيمانويل ماكرون» بتصريح فيه تحذير لموسكو بدفع ثمن باهظ في حال الهجوم على أوكرانيا يدخل في إطار الحفاظ على ماء الوجه، خاصة أن فرنسا تولت رئاسة الاتحاد الأوروبي لمدة 6 أشهر ستشهد فرنسا خلالها انتخابات رئاسية حاسمة في أبريل المقبل، ويسعى «ماكرون»، من خلال البروز بصفة محامي السيادة الأوروبية، إلى توظيف رئاسته للاتحاد لتحقيق مكاسب انتخابية والفوز بدورة ثانية.

تهميش الدور التركي

إلا أن الأمر الذي يمكن ملاحظته في كل هذه التحركات الأمريكية الأوروبية لصد عدوان روسي محتمل على أوكرانيا هو محاولة تغييب أو تهميش الدور التركي، والحال أن تركيا عضو مهم في حلف الشمال الأطلسي (ناتو)، وذلك بسبب العلاقة شبه المتوترة بين الاتحاد الأوروبي وتركيا خاصة مع فرنسا رئيسة الاتحاد حالياً، وهو إشكال آخر يتمثل في اختلال موازين القوى بين موسكو و«الناتو»، علماً بأن أنقرة لها مصالحها الإستراتيجية التي تدعوها إلى الإمساك بالعصا من المنتصف بين عضويتها في «الناتو» وعلاقاتها مع موسكو، ولهذا فإن تركيا عبرت عن استعدادها للقيام بوساطة بين روسيا والغرب لتجنب الحرب المفتوحة، ومحاولة إقناع الطرفين بأن الحرب ستكون مدمرة خاصة بالنسبة لأوروبا القارة العجوز التي ما زالت تعاني من آثار حربين مدمّرتين في النصف الأول من القرن العشرين.■

العلاقات التركية - الروسية على مفترق طرق

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

مع الأزمة الأوكرانية الأخيرة التي وضعت روسيا والغرب في مواجهة محتملة، وبغض النظر عن مساراتها ومآلاتها المحتملة، يمكن القول: إن العلاقات بين تركيا وروسيا تتعرض لاختبار صعب يضعها أمام مفترق طرق بعد سنوات طويلة من التقارب والتفاهم والتنسيق.

تركيا تدرك مآلات أي مواجهة عسكرية مع روسيا ولا سيما في ظل مؤشرات تخلي «الناتو» عن أنقرة

العلاقات بين البلدين لم تتحول إلى تحالف وثيق بل بقيت علاقة تقارب تكتيكي على مبدأ إدارة الخلافات

تعدُّ الحروب بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية بنداً رئيساً في دراسة تلك الحقبة التاريخية؛ إذ وضعت أسباب عدة، في مقدماتها الجيوبوليتيك، الجانبين على طرفي نقيض وفي مواجهة مستمرة، ولأن الأسباب الرئيسة لذلك بقيت قائمة، فقد استمر التناقض بين الجمهورية التركية والاتحاد السوفييتي السابق الذي كان يسعى للوصول إلى المياه الدافئة والسيطرة على المضائق، كان ذلك، إضافة لمطالبته ببعض المحافظات التركية، أحد أهم أسباب لجوء تركيا للولايات المتحدة والكتلة الغربية ثم الانضمام لحلف شمال الأطلسي (الناتو) في عام 1952م.

بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي تغيرت نظرة أنقرة لموسكو، ولم يعد خطر الثانية على الأولى كما كان سابقاً، ولذلك بدأ مسار العلاقات بينهما بالتغير جزئياً، وبعد وصول حزب العدالة والتنمية للحكم، وتحديداً في عام 2004م، كانت زيارة «بوتين» لتركيا التي دشنت محطة مهمة على طريق تطبيع العلاقات وتطويرها بين الجانبين، استمر هذا المسار الإيجابي المتدرج، الذي ركز بشكل أساسي على التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري، حتى عام 2015م مع حادثة إسقاط المقاتلة الروسية «سوخوي» فوق الأجواء التركية التي أوصلت البلدين لحافة مواجهة عسكرية لم تحصل.

ما بعد ذلك؛ أي تجاوز أزمة «السوخوي»، تطورت العلاقات بين أنقرة وموسكو بشكل سريع وملحوظ، تعبيراً عن رؤية سياسية

واضحة لدى كليهما، وكذلك عن جهد شخصي من الرئيسين «أردوغان»، و«بوتين» في المقام الأول، لكن أيضاً قبل هذه وتلك انطلاقاً من سببين رئيسين:

الأول: عتب تركيا على تجاهل حلفائها التقليديين في الغرب مصالحها وأمنها وحقوقها وعلاقاتها المتوترة معهم وتوجسها بخصوص مستقبل هذه العلاقات.

الثاني: فرض روسيا نفسها كأمر واقع في القضية السورية على جميع الأطراف وعلى تركيا بشكل أخص حيث باتت على حدودها الجنوبية، وبالتأكيد فإن تركيا تدرك مآلات أي مواجهة عسكرية مع روسيا ولا سيما في ظل مؤشرات تخلي «الناتو» عنها كما حصل في قضية بطاريات «باتريوت» التي كان الحلف قد نشرها على الأراضي التركية ثم سحبها فيما بعد على غير رغبة أنقرة.

دفع هذان السببان، وغيرهما، تركيا لتطبيع العلاقات مع روسيا بعد أزمة إسقاط المقاتلة، ثم تطويرها نحو مراحل متقدمة شملت الجوانب الاقتصادية والتجارية بالتأكيد، لكنها تخطتها نحو مشاريع الطاقة الكبرى مثل محطة «أك كويو» للطاقة النووية ومشروع السيل التركي للغاز الطبيعي، وكذلك صفقات السلاح الإستراتيجي حيث أصبحت تركيا أول أعضاء حلف «الناتو» اقتناءً لمنظومة «إس 400» الصاروخية الدفاعية الروسية.

تعاون لا تحالف

وعلى مدى سنوات طويلة، أنتج هذا التقارب بين الخصمين التقليديين تفاهمات وتعاوناً بمستويات متباينة في عدد من الملفات الإقليمية رغم اختلاف الرؤى والتوجهات بينهما، أهمها وأشهرها في سورية والقوقاز، وهي تفاهمات بنيت على مبدأ الربح للجميع، فقد تجنب البلدان أي صدام مباشر بينهما من جهة وعظّما مكاسبهما من جهة أخرى، ولا سيما في جنوب القوقاز بعد المعركة الأخيرة بين أذربيجان وأرمينيا.

لكن، ورغم كل ما سبق، لم تتحول العلاقات بين أنقرة وموسكو إلى تحالف وثيق ولا حتى إلى محور متناغم، بل بقيت علاقة تقارب تكتيكي وتفاهمات قائمة على مبدأ إدارة الخلافات؛ ذلك أن ارتباطات تركيا بحلف شمال الأطلسي والمنظومة الغربية -ورغم الخلافات في السنوات الأخيرة- أمتن من أن تنقض عراها في وقت قصير، كما أن حقائق الجيوبوليتيك وتناقض المصالح بين تركيا وروسيا ما زالت قائمة وحاضرة وفاعلة؛ إذ ينبغي التنبه إلى أن أنقرة وموسكو قوتان متواجهتان أو متنافستان في أحسن الأحوال في معظم القضايا والنزاعات الإقليمية، ولهما رؤى مختلفة حد التناقض فيها، مثل سورية وليبيا والبحر الأسود والقرم والقوقاز والبلقان، وغيرها؛ ولذلك تبقى هذه العلاقات هشّة وتتعرض كل حين إلى هزة هنا أو هناك بشكل مقصود أو عفوي، ومن ذلك التطورات الأخيرة في أزمة أوكرانيا.

ليس من صالح تركيا تفاقم أزمة أوكرانيا وانتقالها لمرحلة المواجهة العسكرية

سياسة تركيا الساعية لتوازن نسبي بين روسيا والغرب ستكون مهمتها أصعب في الفترة المقبلة

مفترق طرق

الحشود الروسية على حدود أوكرانيا والفشل المتكرر للقاءات الروسية الأمريكية بهذا الصدد وضعت كلاً من روسيا وحلف شمال الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة في مواجهة غير مباشرة، تطالب موسكو بضمانات من الحلف بعدم ضم كييف له، ويحذره الحلف من غزوها واحتلالها، وبين هذه المطالبات وتلك التحذيرات تزداد الحشود على الحدود وترتفع معها احتمالات التصعيد العسكري.

قبل أزمة أوكرانيا، كان التدخل الروسي في كازاخستان تحت مظلة منظمة معاهدة الأمن الجماعي مزعجاً لتركيا والغرب، لكنه لم يستدع في حينها رد فعل مبالغاً، أما الأزمة الأوكرانية فمختلفة من حيث الخلفية التاريخية والسياق والتداعيات المحتملة.

في المقام الأول، تبدو أنقرة ملتزمة بالموقف الرسمي لحلف «الناتو» والمتمثل برفض الخيار العسكري والدعوة للحوار والحلول الدبلوماسية، ولكن نبرة تصريحاتها أخف حدة بكثير بطبيعة الحال، جزئياً حرصاً على علاقاتها مع موسكو ومن جهة ثانية لعدم رغبتها في تدحرج الأحداث لمواجهة عسكرية، وكذلك لعدم ثقتها بالمواقف الغربية على المدى البعيد.

ليس من صالح تركيا تفاقم الأزمة وانتقالها لمرحلة المواجهة العسكرية بغض النظر عن مستواها؛ فهي ستضعها إزاء خيارات صعبة بين «الناتو» وروسيا، كما أن تداعيات أي حرب ستكون سلبية على اقتصادها الذي يسعى للخروج من الأزمة، فضلاً عن ارتداداتها المحتملة في أكثر من مكان.

كما أن مواجهة عسكرية ولو محدودة بين الجانبين ستوجب على أنقرة أن تتخذ قرارات صعبة، مثلاً بخصوص السماح بمرور قطع حربية من مضائقها باتجاه البحر الأسود، حيث إن القبول سيعرض علاقاتها بموسكو لهزة كبيرة، بينما الرفض سيفتح النقاش على مدى التزامها بعضوية «الناتو» وتوجهاته.

ولذلك، فقد عرضت أنقرة الوساطة بين موسكو وكييف، وقد رحبت الأخيرة بهذا المقترح وإن لم تجبه الأولى بالإيجاب حتى لحظة كتابة هذه السطور، وأعلنت الرئاسة التركية أن «أردوغان» سيزور أوكرانيا مطلع فبراير، وأن محادثات «مينسك» بين روسيا وأوكرانيا ستتم في تركيا، بما يوحي بأن الطرفين قد يقبلان بوساطتها لاحقاً.

في الخلاصة، تضع أزمة أوكرانيا العلاقات التركية الروسية على مفترق طرق، وبالتأكيد الطرفان حريصان على عدم وصولها لحالة القطيعة الكاملة، لكنها لن تكون بنفس دفء السنوات السابقة، ولا سيما مع الضغوط المستمرة التي تمارسها الولايات المتحدة على تركيا بخصوص العلاقات مع روسيا؛ وعليه، فإن سياسة تركيا الساعية لتوازن نسبي بين روسيا والغرب ستكون مهمتها أصعب في الفترة المقبلة.■

تونس..

صراع الأجنحة داخل القصر هل يعيد المسار الديمقراطي أم يواصل الهروب للهاوية؟

تونس- عبدالباقي خليفة:

بعض التونسيين يترقبون تغير مواقف سعيّد وعلاقاته الإقليمية بعد استقالة مديرة مكتبه

مثّلت استقالة الوزيرة نادية عكاشة، مديرة مكتب الرئيس التونسي قيس سعيّد، التي يتهمها كثيرون بأنها وراء الكثير من الإجراءات التي زادت من حدة الاحتقان في البلاد منذ 25 يوليو الماضي -وقبله أيضاً- مثلت بارقة أمل لدى الكثيرين، فيما ينتظر آخرون أيضاً ما إذا كانت مواقف سعيّد وعلاقاته الإقليمية من تدبيرها أم هي بريئة براءة الذئب من دم يوسف، كما يقولون.

وهناك احتمال ثالث يترجمه المثل العربي المعروف «وافق شن طبقة» -وهو مثل عربي يقال عندما يتوافق تفكير شخصين- فكأن هناك توجهاً عاماً لدى الجميع لتحميلها المسؤولية، وإن كان بدرجات متفاوتة؛ حيث تحسب عكاشة على جناح النسور في سلطة سعيّد المطلقة.

وفي كل الأحوال، سيكون لهذه الاستقالة تداعيات كثيرة على الوضع العام للتونسيين، الذين عبّر كثير منهم عن خشيته من أن يُختطف دون علم أهله في الطرقات، أو من أمام منازلهم، كما حدث مع رئيس كتلة حركة النهضة في البرلمان، نائب رئيس الحركة نور الدين البحيري، الذي يرقد حالياً في المستشفى العسكري بتونس العاصمة بين الحياة والموت، ولم توجه إليه حتى الآن أي تهمة رسمياً ما عدا ما يصرّح به سعيّد ولم يأخذه القضاء مأخذ الجد؛ لانتفاء الأدلة، حيث رفضت جميع السلطات القضائية التعاطي مع اتهامات شفاهية هي أجدر بفتح تحقيق في شأنها بتهمة الثلب، ونسبة أمور غير صحيحة لبريء لم تثبت إدانته، وكذلك القيادي الأمني السابق فتحي البلدي، وقيادي من حركة النهضة ببلدة بمحافظة القيروان، وذلك في ظل مراقبة أمنية لصيقة لبعض الناشطين السياسيين والإعلاميين.

تدهور الأوضاع الاجتماعية

بعد تعرض سياسيين وإعلاميين للضرب بمناسبة الاحتفال بالذكرى الـ11 للثورة، في 14 يناير الماضي، ظهر جلياً -بما لم يسبق له مثيل- الوجه الحقيقي للانقلاب، وأدرك جميع الفاعلين السياسيين (ما عدا من يبحثون عن التموقع السياسي من خلال دعم الانقلاب بعد أن عجزوا عن حجز مقاعد لهم عبر صناديق الاقتراع، أو لم ولن يحققوا من خلالها أهدافهم في الوصول للحكم عبر إرادة الناخبين) أنهم بصدد انقلاب يتمتع بسلطة «إلهية»، كما سماها أحد قيادات «التيار الديمقراطي».

ولم يكن حق التظاهر مصادَراً فحسب؛ بل كذلك حق الإضراب وحق المطالبة بالحقوق، كما حدث مع صحفيي وموظفي التلفزيون الرسمي، الذي داهمته الفرق الأمنية، ودخلت الشرطة إلى أقسام البث وإعداد الأخبار والبرامج وروّعوا الإعلاميين والعاملين، وأجروا التحقيقات الأمنية معهم على خلفية الإضراب؛ بل تم، في 24 يناير؛ أي بعد نحو أسبوع من مداهمة التلفزيون الرسمي، استدعاء نقابيي البريد على خلفية إضراب نفذوه على مدى يومين للمطالبة بحقوقهم المهنية.

بيد أن تلك السياسات والممارسات لم تُنه التململ في الأوساط الشعبية والمهنية؛ ففي

حق التظاهر لم يكن مصادَراً فحسب بل حق الإضراب والمطالبة بالحقوق كذلك

تونس بالمرتبة 65 في سيادة القانون تحت ظل حكم رئيس كان أستاذاً للقانون!

البنك الدولي: من الصعب تمويل سداد الدين العمومي المتزايد ما لم تُنفذ إصلاحات حاسمة

هذا الوقت الذي نكتب فيه هذا التقرير، يخوض موظفو المعهد التونسي للإحصاء، وكتبة المحاكم إضراباً عن العمل بيومين في كامل المحافظات التونسية، وكذلك يخوض الأطباء والصيادلة إضراباً عن العمل للمطالبة بحقوقهم المهنية، علاوة على أنهم لم يتلقوا رواتبهم (وكذلك جميع العاملين في الوظيفة العمومية) حتى يوم 25 يناير، وكانوا يحصلون على رواتبهم في الـ18 من كل شهر.

كما يتواصل منع السياسيين والناشطين من السفر، وقد وصل عددهم المئات، فيما تدهورت الأوضاع العامة بما لم يسبق له مثيل؛ لدرجة قد يجد الطلبة أنفسهم في السنة الدراسية القادمة بدون كتب أو قرطاسية بعد فقد الورق وارتفاع تكلفة توريده.

وتزامن ذلك مع صدور تقرير دولي مختص يشير إلى أن تونس في المرتبة 65 من حيث سيادة القانون، في ظل حكم مطلق لرئيس كان أستاذاً مساعداً في تدريس القانون!

وقد علّق النائب بالبرلمان حاتم المليكي على الوضع الاجتماعي، في تصريح إعلامي، بقوله: قد نجد أنفسنا دون دواء ولا قمح ولا وقود ولا رواتب، فيما تحدث آخرون عن أن تونس تسير على خطى لبنان.

تدهور الوضع الاقتصادي

يشير تقرير للبنك الدولي إلى تباطؤ الاقتصاد في تونس، وتزايد القلق من ارتفاع نسب البطالة، وذكر البنك في تقرير «المرصد الاقتصادي لتونس – شتاء 2022م»، الصادر في 24 يناير الماضي، أن ارتفاع معدل البطالة عبء على أي تعافٍ اقتصادي للبلاد؛ ما يعني أن العودة لمستويات عام 2019م ما تزال بعيدة.

وبلغ عجز ميزانية تونس 7.6% من الناتج المحلي الإجمالي في عام 2022م، ويعود هذا التراجع إلى توقعات بانخفاض الإنفاق المتعلق بالصحة، بشرط الحفاظ على مسار النفقات والمداخيل الإيجابي إلى حد ما.

وأشار تقرير البنك الدولي إلى أنه سيكون من الصعب تمويل سداد الدين العمومي التونسي المتزايد، ما لم تُنفذ إصلاحات مالية عمومية واقتصادية حاسمة.

وتتجه تونس لخوض تجربة إصلاح اقتصادية جديدة مع صندوق النقد الدولي، هذا العام، للحصول على قرض جديد بقيمة 4 مليارات دولار، في حلقة جديدة من رحلة الاقتراض، لكن البنك يشترط موافقة الأطراف الاجتماعية كالنقابات ومنظمات رجال الأعمال وعودة البرلمان، وهو ما يتعارض مع توجهات السلطة التي يصفها سياسيون، ومنهم الأمين العام لحزب «التيار الديمقراطي» غازي الشواشي، بأنها تقوم بعمليات تحايل من أجل البقاء في السلطة، ومن ذلك تغيير النظام السياسي، إلى نظام استبدادي باسم الشعب، والبناء القاعدي.

ما من شك أن الأسابيع القليلة القادمة ستضع النقاط على حروف الوضع القائم في تونس وجمله وسردياته، ولا سيما فيما يتعلق بالمخطوفين، بعد إقالة نادية عكاشة -أو استقالتها- من منصب مديرة مكتب الرئيس، التي يربطها البعض بالمكالمة التي جرت بين سعيّد والرئيس الفرنسي «ماكرون»، وحديث وزير الخارجية التونسي الأسبق رفيق عبدالسلام الذي أشار فيه إلى زيارة سرية قام بها سعيّد إلى باريس، وخلافات الأجنحة داخل القصر الرئاسي (يشير البعض إلى 4 أجنحة) وخروج عكاشة بالضربة القاضية بعد صراعها مع جناح وزير الداخلية توفيق شرف الدين، وإمكانية اهتبال سعيّد الفرصة لتنقية الأجواء مع حركة النهضة وإطلاق سراح البحيري، والبلدي، وبقية المخطوفين والموقوفين، كما عبّر عن ذلك القيادي في الحركة رياض الشعيبي، وبالتالي حصول انفراجة تخدم المصلحة العليا للشعب والبلاد في ظل الأزمة المستفحلة.

ومن السيناريوهات الأخرى أن يستمر النظام الحاكم في الهروب إلى الأمام وسط تصاعد المعارضة، وتآكل شعبية الرئيس سعيّد وانفضاض الكثيرين من حوله، آخرهم مديرة ديوانه.

وبذلك تكون النهاية كما صورتها الإعلامية شهرزاد عكاشة؛ حيث قالت: ما يجري هو محاولة للتخلص من سعيّد؛ فالأخطاء الكبرى التي تم ارتكابها تهدف لعزل الرئيس.■

نزع حضانة الأطفال.. هل أصبح كابوس مسلمي السويد؟

إعداد - محمد سرحان:

تزايدت شكاوى عائلات مسلمة في السويد من حالات نزع حضانة الأطفال من أسرهم، ويتخوف البعض من أن يكون هناك تعمد أو استهداف لأطفال العائلات المسلمة أكثر من غيرهم، إضافة إلى ذلك التعسف في تطبيق الإجراءات نفسها إزاء الأسر المسلمة، وحرمان هذه الأسر من التواصل مع أطفالها المسحوبين منهم في حالات كثيرة، ونقلهم إلى مناطق بعيدة عن أماكن إقامة ذويهم، كما يشكو البعض من تضمين عمليات نزع الأطفال وربطها بالجانب الديني ولا سيما للمسلمين وسؤال العائلات عن الشعائر الإسلامية، كما أشار «راديو السويد»، في تقرير له منشور بتاريخ 21 ديسمبر 2021م، أن الأطفال من خلفيات أجنبية أكثر عرضة للحرمان من ذويهم مقارنة بالأطفال من أصول سويدية، إذ يتم سحبهم من قبل «السوسيال»، وهي اختصار لكلمة «socialtjänsten» وتعني: خدمات اجتماعية.

مارية المتوكل، مهاجرة عربية تعيش بالسويد منذ فترة طويلة، في لقاء لها بقناة «الحوار»، الأحد 23 يناير 2022م، تشكو سحب «السوسيال» أطفالها وحرمانها وزوجها من التواصل معهم إلا ربع ساعة أسبوعياً، ونقلهم إلى ولاية بعيدة عن مقر إقامتهم، كما تم إدخال موضوع الصلاة والصوم ضمن الملف، وأنه تم التفريق بين طفليها بإسناد حضانة الطفل إلى عائلة غير التي تحتضن شقيقته، وتشكو من عنصرية وتعنت من قبل الموظفين.

وحتى تتضح الصورة أكثر، تواصلت «المجتمع» مع السيدة فانا محمد، وهي اختصاصية اجتماعية بقسم رعاية الأطفال بإدارة «السوسيال» في ستوكهولم بالسويد، وحول الحالات التي يتم فيها سحب الأطفال من عائلاتهم، قالت لـ«المجتمع»: «إن القانون يتيح للبلدية التدخل وسحب الأطفال في حالتين؛ أولاهما: إذا كانت بيئة البيت سيئة وتؤثر سلباً على صحة ونمو الطفل، والثانية: إذا كان الطفل نفسه يتسبب في الخطر لنفسه والضرر في البيت.

نقلنا لها شكوى بعض الأسر المسلمة التي ترى أن هناك استهدافاً للعائلات المسلمة أكثر من غيرها، فأجابت: لا شك أن العنصرية موجودة سواء في المجتمع أو البلديات، وقسم «السوسيال» جزء من هذا؛ ولذلك فإن الأسر الأجنبية معرضة لمعاملة غير عادلة، كما أن هناك عوامل أخرى تزيد من المعاملة غير العادلة للأسر الأجنبية، منها -مثلاً- إذا كان الأهل لديهم صعوبة في التحدث وفهم اللغة أو الثقافة السويدية، وغالباً لا يكون هناك فهم لدى الموظفين في البلدية للثقافات المختلفة وطريقة التربية المتبعة عند بعض الناس في مجتمعات أخرى.

وحول معاملة الأطفال بعد سحبهم من عائلاتهم، تقول: في البداية يتم وضع الأطفال في بيوت الطوارئ، وهي منازل لعائلات عادية يكون لديها استعداد لقبول استضافة أطفال لديها في حالة الطوارئ، ثم يتم فرز الأطفال ونقلهم إلى عائلات أخرى للاستقرار لفترة أطول، مع مراعاة أن تكون هذه الأسر مناسبة للطفل، مع الأخذ في الاعتبار الخلفيات المختلفة للأطفال، لكن يجب أن نعترف أن هناك نقصاً كبيراً في بيوت الرعاية من العوائل الأجنبية أو المسلمة، كما أن عدد العاملين المسلمين في «السوسيال» للأسف قليل جداً، وهنا يتم اللجوء إلى إسناد حضانة الأطفال إلى عائلات من خلفية دينية مغايرة.

من جانبه، يقول الشيخ خالد الديب، رئيس المجلس السويدي للأئمة، رئيس لجنة الإفتاء والبحوث بالسويد، في تصريحات

الشيخ خالد الديب

لـ«المجتمع»: إن عملية سحب أو نزع حضانة الأطفال من عائلاتهم تتم بموجب قانون معمول به منذ الثمانينيات، ينص على أن الطفل إذا تعرض لأي مظهر من مظاهر العنف بدنياً كان أو نفسياً يتم سحبه من عائلته حماية له، كما أنه إذا كان الطفل نفسه يسبب ضرراً أو عبئاً على أسرته؛ فإن السلطات تتدخل كذلك لتقويم الطفل وحماية عائلته.

ويضيف الشيخ الديب أن الطفل نفسه قد يقوم بإبلاغ السلطات بأنه يتعرض للعنف، أو من خلال متابعته وسؤاله باستمرار في المدرسة أو الروضة، أو إذا لوحظ على الطفل سوء حالته أو الإهمال؛ فإن إدارة المدرسة أو الروضة تقوم بإبلاغ «السوسيال» المخولة بالتعامل مع هذه القضايا، وفيما يخص تزايد شكاوى عائلات مسلمة من عمليات وإجراءات سحب الأطفال؛ لم يستبعد وجود بعض المخالفات لدى بعض الموظفين العاملين في هذه القضايا.

ويؤكد رئيس مجلس الأئمة ضرورة معرفة القوانين حتى يكون تعامل الأسر مبنياً على دراية، وفي الوقت نفسه، أشار إلى أن هناك حالة عزوف من قبل المسلمين بالسويد عن المشاركة المجتمعية والسياسية؛ ما يجعلهم في الأغلب ضحية سياسات الآخرين الذين تركوا لهم الساحة كاملة.■

الروهنجيا..
جلسة مرتقبة لمحكمة العدل الدولية

عزيز عبدالمجيد

قررت محكمة العدل الدولية عقد جلسة استماع، في 21 فبراير الجاري، في قضية الإبادة الجماعية بحق مسلمي الروهنجيا في ميانمار.

وبخصوص هذه الجلسة، يقول عزيز عبدالمجيد، رئيس المركز الروهنجي لحقوق الإنسان» (مقره سويسرا): إن قضية الروهنجيا التي تنظرها محكمة العدل الدولية للأسف قد تمتد وتطول إلى مدى لا يمكن تصوره في الوقت الراهن، ففيما مضى من جلسات كانت هناك أطراف بالمحكمة الدولية يمثلون طرف المدعي وطرف المدعى عليه وهي حكومة ميانمار، وكانت ممثلة في «أونج سان سوشي»، مستشارة الدولة التي انقلب عليها الجيش، وهي كانت تدافع باستماتة عن الطغمة العسكرية الحاكمة حالياً، وأصبحت «سوشي» رهن الاعتقال.

وأضاف عبدالمجيد أنه في الوقت الراهن، سيقوم عسكر ميانمار بتولي الدفاع عن سلطتهم في ظل غياب «سوشي»، وإن كانت هذه الطغمة العسكرية في حالة ضعف حالياً، لكن للأسف هذا الضعف لن يؤثر إيجابياً بشكل ملحوظ في قضية الروهنجيا، فسواء بوجود «سوشي» أو العسكر لن تجد قضية الروهنجيا تغيراً ملحوظاً أو دعماً، ويرى أن المجلس العسكري الحاكم حالياً سيحاول حصر القضية في نقاط اللاجئين أو الإرهاب، فنحن الروهنجيا لا ننتظر تغييراً جذرياً من هذه السلطات في ميانمار.

وأشار عبدالمجيد إلى أن سلطات ميانمار لن تولي اهتماماً كبيراً بأي قرار يخرج عن محكمة العدل الدولية؛ لأن هناك أطرافاً دولية مؤثرة تدعم هذه السلطة، وبالتالي لن تعبأ بالقضية برمتها للأسف.

يشار إلى أن إحالة قضية الروهنجيا إلى محكمة العدل الدولية جاءت في نوفمبر 2019م، عندما تقدمت دولة غامبيا بالدعوى إلى المحكمة نيابة عن منظمة التعاون الإسلامي، ضد ميانمار، متهمة إياها بارتكاب إبادة جماعية ضد أقلية الروهنجيا المسلمة، وآنذاك، قال وزير العدل الغامبي أبوبكر تامبادو الذي أخذ المبادرة بالدعوى: إنه لا بد من ضمان تحقيق العدالة والمحاسبة على الإبادة التي مارستها دولة ميانمار بحق مسلمي الروهنجيا.

وعلى خلفية الدعوى، عقدت المحكمة الدولية جلسة خلال ديسمبر 2019م، وقفت خلالها مستشارة الدولة، آنذاك» «أونج سان سوشي»، خلال الإدلاء بشهادتها، تدافع عن جيش بلادها، ونفت أن تكون نية الإبادة الجماعية حاضرة في هذه الأحداث، وأن الأمر لا يتعدى استخداماً غير مناسب للقوة.

يذكر أنه على خلفية مذبحة 25 أغسطس 2017م وحدها، اضطر أكثر من 700 ألف روهنجي، انضموا إلى عشرات الآلاف الذين سبقوهم جراء مذابح سابقة ليعيش أكثر من مليون روهنجي في مخيمات هشة بمنطقة كوكس بازار في بنجلاديش يعتمدون على الإعانات والمساعدات الإنسانية.

وهؤلاء الروهنجيا الذين تم تهجيرهم قسرياً جرى إحراق قراهم وجيء بمجموعات من البوذيين وإسكانهم محلهم ضمن سياسة التغيير الديموغرافي.■

أوكرانيا..

«اسأل مسلماً» و«شتاء دافئ»

تتواصل فعاليات مسلمي أوكرانيا للتعريف بالإسلام، وذلك من خلال حملة أطلقها مجلس مسلمي أوكرانيا تحت عنوان «اسأل مسلماً»، وهي حملة نُظمت فعالياتها في 11 مدينة بأوكرانيا؛ حيث ينتشر مسلمون في الميادين الرئيسة بالمدن يوزعون كتباً ومطويات وترجمات معاني القرآن مع بعض الضيافة للمارة والإجابة عن أسئلتهم حول الإسلام.

وفي الجانب الاجتماعي، نظم مجلس مسلمي أوكرانيا أيضاً حملة «تدفئة الشتاء» التي نفذتها جمعية «أيادي الخير» لتدفئة شتاء الأسر المسلمة المتعففة في المناطق الجنوبية من أوكرانيا والمتاخمة لحدود شبه جزيرة القرم، استهدفت الحملة أكثر من 300 أسرة مسلمة وبعض العائلات غير المسلمة في هذه المناطق، بتوزيع أكثر من 70 طناً من الفحم الحجري، بحسب ما قاله لـ«المجتمع» د. إسماعيل القاضي، وهو أحد المشاركين في الحملة، التي قوبلت بتقدير وامتنان كبيرين من قبل الأسر.

د. إسماعيل القاضي

وعن أهداف حملة تدفئة الشتاء، قال الشيخ حمزة عيسى، عضو مجلس مسلمي أوكرانيا، أحد القائمين على الحملة، لـ«المجتمع»: إن الحملة تهدف إلى تثبيت المسلمين والتكاتف والتكافل فيما بينهم كما علمنا الإسلام «كالجسد الواحد»، وأيضاً التخفيف عن فقراء المسلمين خصوصاً مع ازدياد أسعار الغاز والفحم الحجري نظراً للتوترات الأخيرة بين أوكرانيا وروسيا، والتعريف برحمة الإسلام وترسيخ الصورة الحقيقية لهذا الدين.■

الهند.. استهداف الناشطات المسلمات

في الفترة الأخيرة، تزايدت مظاهر استهداف المرأة المسلمة في الهند، خاصة الناشطات المسلمات اللاتي لهن دور في فضح الممارسات العنصرية ضد المسلمين، ووصل الأمر حد عرض مسلمات للبيع في مزاد وهمي عبر الإنترنت استهزاء بهن.

وحول هذا الواقع، تقول خالدة بارفين، ناشطة اجتماعية، الأمينة العامة لجمعية «عمومات»، في تصريحات لـ«المجتمع»: إنه مع ارتفاع صوت المرأة المسلمة في السنوات الأخيرة، ونشاطها في الساحة السياسية ضد القوانين التمييزية ضد المسلمين مثل تعديلات قانون المواطنة، وتصدي الصحفيات المسلمات للممارسات العنصرية، فهذا النشاط للمرأة المسلمة أرّق حكومة حزب بهاراتيا جاناتا والموالين له من المتطرفين، ومن هنا كانت محاولاتهم في تشويه سمعة النساء المسلمات كعمل مزاد إلكتروني وهمي وعرضهن للبيع عبر تطبيقات إلكترونية.

خالدة بارفين

وتضيف بارفين أن الحكومة المركزية ليست جادة في السيطرة على مثل هذه الجرائم العنصرية، وإن كانت شرطة مومباي اعتقلت بعض الشباب على خلفية هذه القضية، هذا إلى جانب التجسس على الناشطين والتضييق على الصحفيات والناشطات المسلمات، وهذا يتطلب مزيداً من الضغوط من قبل المنظمات على الحكومة للتحقيق في مثل هذه الجرائم، داعية وسائل الإعلام العربية إلى مساندة المسلمات في الهند والكتابة عما يتعرضن له من تضييق وممارسات عنصرية.■

د. أشرف عيد

مسلمو تشاد.. جهود متواصلة لنشر التعليم الإسلامي

تقع دولة تشاد في وسط قارة أفريقيا، تحدها ليبيا شمالاً، والسودان شرقاً، وأفريقيا الوسطى والكاميرون ونيجيريا جنوباً، والنيجر غرباً، وهي دولة حبيسة ليس لها حدود ساحلية، ويمر بها نهران موسميان؛ لوغون، وشاري، يلتقيان في العاصمة إنجامينا، ويصبان في بحيرة تشاد.

تتألف أرض تشاد من مناطق صحراوية واسعة تحيط بها المرتفعات، وتعيش بها جماعات عرقية متنوعة، ومساحتها 1.284 مليون كم2، وتعداد السكان 16.5 مليون نسمة عام 2021م، ومعظم السكان مسلمون، فيقدر عددهم بنحو 12 مليوناً تقريباً، بنسبة أكثر من 72%، والمسيحية الديانة الثانية في البلاد، ثم معتقدات أخرى.

وتشاد دولة علمانية، واللغة الرسمية العربية والفرنسية، وتعتبر لغة «سارا» أكثر اللغات انتشاراً في الجنوب، بجانب اللغات المحلية، وأغلب سكان شمال ووسط تشاد من العرب المسلمين ذوي البشرة السمراء، ويتحدثون العربية ويعملون في الزراعة وتجارة الماشية والرعي في الصحراء.

دخول الإسلام

دخل الإسلام تشاد عام 46هـ مع وصول القائد المسلم عقبة بن نافع إلى جبال كوار، وقامت في تشاد مملكة كانم الإسلامية، وكانت العربية هي لغة العلم والثقافة والحديث اليومي بها، واستمرت اللغة العربية لغة تشاد حتى بداية القرن العشرين عندما احتلت فرنسا تشاد؛ فعملت على فرض اللغة الفرنسية في التعليم والإدارة وإقصاء العربية، ولما استقلت تشاد عن فرنسا، في 11 أغسطس 1960م، عملت فرنسا على ربطها بها عن طريق ضمها إلى منظمة الدول الناطقة بالفرنسية الفرانكفونية حتى تصبح تابعة سياسياً للنفوذ الفرنسي في أفريقيا.

وتعيش تشاد حالة استبداد سياسي وتقييد للحريات، وانتشار المليشيات المسلحة، والانقلابات العسكرية المتكررة، وهي من أقل البلاد نمواً، والأكثر فقراً وفساداً في العالم، وتحتل المرتبة الأدنى في مؤشر التنمية البشرية.

وقد بذل المسلمون جهوداً متواصلة حتى تم الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للبلاد مع الفرنسية، وتنتشر الأمية بين معظم السكان؛ فمعظمهم ريفيون يعملون مزارعين وبدواً رحلاً، ويعيشون في أكواخ مبنية بالطين، بالرغم من اكتشاف البترول في البلاد، ويشكلون نسبة 77%، بينما يشكل سكان المدن نسبة 23% من السكان، ويعيشون في 5 مدن مهمة، هي: سرح، وإنجامينا، وموندو، وبونغور، وأبيشيه.

وقد ساعد انتشار التعليم والمدن الصناعية في جنوب تشاد على أن يكون لسكان هذا الإقليم السيادة في المؤسسات الخدمية؛ فنحو 80% من مدارس تشاد الابتدائية والثانوية في مناطق الجنوب؛ ولذا فأغلب رجال الأعمال والمدرسين والحرفيين وموظفي الحكومة من تلك المنطقة؛ ما أدى إلى فجوة في التعليم والنمو الاقتصادي بين سكان تشاد في الشمال والجنوب.

الهيئات الإسلامية

يقوم المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في تشاد بالعمل على متابعة التعليم الإسلامي في البلاد، والعمل على إنشاء مراكز تحفيظ القرآن والتعليم الإسلامي، وله اتصال وثيق بالمنظمات الإسلامية، مثل رابطة العالم الإسلامي، وهيئة الإغاثة الإسلامية.

ويهتم مسلمو تشاد بحفظ القرآن الكريم اهتماماً كبيراً، حتى أصبح من السمات المميزة لهم، رغم قلة المدارس القرآنية والفقر الشديد، ويحصد أبناء تشاد جوائز دولية في حفظ القرآن الكريم، وتقدم بعض الدول العربية الدعم المادي والعلمي للمسلمين في تشاد، مثل: بيت الزكاة الكويتي، والدعم السعودي ممثلاً في جامعة الملك فيصل في تشاد التي تخرج فيها آلاف الطلاب، وكان لهم دور ثقافي كبير في البلاد، كما أرسل الأزهر في مصر البعثات والمدرسين إليها.

ازداد الاهتمام باللغة العربية والبرامج الإسلامية والثقافية في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمشاهدة في تشاد، ومن الصحف التي تصدر بالعربية: «الأضواء»، «الأيام»، «إنجامينا الجديدة»، «الاستقلال»، «الرأي»، «تشاد اليوم»، «النهضة»، «الخبر»، ويبث «التلفزيون التشادي» برامجه بالعربية والفرنسية.

والمسلمون في تشاد في حاجة شديدة إلى الدعم من الدول العربية والإسلامية في سبيل إقامة المدارس والجامعات المتخصصة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية والإعلام والصحافة وتكنولوجيا الاتصال ونظم المعلومات، إضافة إلى التخصصات العلمية حتى يواكبوا التطور العلمي.■

المصادر

1 – عباس محمود طاهر: مكانة ودور اللغة العربية في وسائل الإعلام التشادية «إذاعة البيان أنموذجاً»، إنجامينا تشاد، دون تاريخ.

2 – د. محمد يوسف محمد: تاريخ الهجرات العربية إلى أفريقيا جنوب الصحراء، تشاد نموذجاً، دورية كان التاريخية، السنة الحادية عشر، العدد الثاني والأربعون، ديسمبر 2018، ص31–39.

3 – مفتي تشاد د. حسين أبو بكر: نحن دولة القرآن! الجريدة، الكويت، 2008/9/19م.

المفكر الإسلامي د. حسن الشافعي في حواره مع «المجتمع»:

«جائزة الملك فيصل» تقدير معنوي عظيم وتبرعت بقيمتها لخدمة الدين

لا تكفيه الكلمات عرفاناً وتقديراً، إنه المفكر الإسلامي د. حسن الشافعي، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، رئيس مجمع اللغة العربية السابق، الحاصل مؤخراً على «جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام» 2022م.

التقته «المجتمع» في مقره المفضل بمجمع اللغة العربية بوسط العاصمة المصرية القاهرة، حيث يستقبل تلاميذه ومحبيه وعارفي فضله للتهنئة بفوزه بالجائزة العالمية، وقد فتح قلبه لنا مشكوراً رغم ضيق وقته تقديراً للمجلة ومكانة دولة الكويت الكبيرة في قلبه.

وقد ركز الحوار على الحديث عن سياق فوزه بـ«جائزة الملك فيصل» انطلاقاً من رحلته العلمية الطويلة في خدمة الدين في مختلف بقاع الأرض، وقد أوصى فضيلته الأمة والأجيال الصاعدة بالثقة في الله عز وجل، والحفاظ على أوقاتهم وأعمارهم، مؤكداً أن المجتمع العربي بحاجة إلى صون القيم وحماية المجتمع من موجات الانحلال والفوضى أو الغلو والتشدد، ولذلك تبرع بقيمة الجائزة لوقف خيري لصالح طلاب العلم من أجل حماية المستقبل من شر الجهل.

لحماية المجتمع يجب اجتماع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعلمية عبر خطط تنموية إسلامية

اجعل ثقتك بما في يد الله أوثق مما في يدك تعش كريماً عزيزاً

حاوره- حسن القباني:

● **بداية، نرحب بفضيلتكم، ونهنئكم بنيلكم «جائزة الملك فيصل».**

- أرحب بكم في مجمع اللغة العربية، وأشكركم على التهنئة، وأحيي مجلة «المجتمع» التي كنت دائماً أزورها في دولة الكويت الحبيبة التي لها دور كبير في دعم الجهاد الفلسطيني ورفض التطبيع وعدم استقبال أي من الصهاينة، وهو موقف عظيم يُحسب لها.

● **ماذا تقول عن اختياركم هذا العام للحصول على «جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام»؟**

- لقد رأت لجنة موقرة من علماء متخصصين في هذا العبد الفقير نواحي من أجلها يمكن أن تختم حياته -وأنا الآن في عمر الثانية والتسعين- بمثل هذه الجائزة التي هي أعلى جائزة في نطاق العالم الإسلامي والعربي.

وفي الواقع أنه إذا كانت الجائزة عن خدمة الإسلام، فإننا مدينون لهذا الدين بالكثير، وأعتبر ما قمت به طول رحلتي هو جهد المقل لخدمة ديني، ومحاولة لرد الدَّيْن الذي نعمنا به في ظل هذا الدِّين الحنيف.

● **ما السياق الذي جاء فيه قراركم بالتبرع بالجائزة لصالح وقف لطلاب العلم؟**

- في الحقيقة، الجائزة جاءت عن خدمة الإسلام؛ فأردت أنا أجعلها لخدمة الإسلام، والتقدير المعنوي شيء عظيم وهو على رأسي، وأنا مدين به لرجال المملكة وفي مقدمتهم جلالة الملك سلمان بن عبدالعزيز، حفظه الله تعالى، والقيمة المالية تبرعت بها لوقف أقيم

في بنك فيصل الإسلامي الدولي أيضاً، أي أن كل الأمور تابعة للملك فيصل، وكنت قد أقمت هذا الوقف قبل 15 عاماً في بنك فيصل، وكان بصحبتي د. علي جمعة، مفتي الديار المصرية في ذاك الوقت، والناس تظن أن البر مقصور على الأيتام والفقراء ونحوهم وهذا حق، ولكن هناك ما هو أوسع من هذا، ومنه رعاية الباحثين وطلاب العلم وتنمية البحث العلمي.

وقد أقيمت منذ بداية الوقف مكتبة عامة في مدخل الأزهر الشريف، ونسعى لإتمام تدشين مركز للدراسات والبحوث الإسلامية خاصة في أصول الدين والفقه، ويوجد مجلة لكن لم يصدر أول أعدادها بعدُ رغم حصولنا على الترخيص، ونذرت لله تعالى ثواب هذا التبرع لروح الملك فيصل؛ لاعتقادي أن هذا الرجل لم يكن حاكماً متميزاً أو ملكاً مرموقاً فقط، لكنه كان ولياً من أولياء الله عز وجل، والله أعلم به وهو وحده حسيبه.

● كيف نحمي القيم والمجتمع في هذا العصر؟

– حماية المجتمع وخدمته لها جانبان؛ الأول: جانب اجتماعي واقتصادي، وهو تتكفل به خطط التنمية؛ فإنها تخلق أماكن العمل ووجوهه، وتعطي للشباب فرصة أن يحقق وجوده وآماله، الثاني: الجانب العلمي من أجل حماية المعتقدات والمضمون الفكري والبر والمعروف وتيسير طريقة الحياة وفق ما يرضي الله تعالى، وهذا ما يعمل عليه الوقف الذي أسسته، من أجل خدمة الإسلام.

وحتى نحمي القيم والمجتمع فلا بد من اجتماع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعلمية عبر خطط تنموية على أساس من الإسلام وقانونه في الزكاة وغيرها من وسائل الكفاية والرعاية الاجتماعية للمسلمين، خاصة للشباب والمعوزين، بالإضافة إلى حسن التوجيه والتكوين وحمايتهم من التحلل والإلحاد أو التطرف والتشدد.

ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ (كل جيل) عُدُولُهُ (أفضل أهله)، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ (الغلو)، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ (الابتداع)، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»، ومن أخطر ما يواجه المجتمع الآن أيضاً دخول غير أهل العلم على العلم؛ ما أوجد فئة متشددة ومتطرفة لا تراعي قوانين الشرع الإسلامي في فهم الدين.

إذا كانت الجائزة عن خدمة الإسلام فإننا مدينون لهذا الدين وما قمت به جهد المقل لخدمة ديني

تبرعتُ بالقيمة المالية للجائزة لوقف لخدمة الإسلام ببنك فيصل ونذرت ثوابها لروح الملك فيصل

● لفضيلتكم رحلة طويلة في مسار العلم والحياة، ما أبرز خلاصات هذه الرحلة؟

– الخلاصة من هذه السيرة المتواضعة التي يمثلها العبد الفقير إلى ربه حسن الشافعي جانبان؛ جانب في خدمة العلم، وجانب في خدمة الخلق؛ فنحن مطالبون بخدمة الخلق جميعاً، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، ونحن حين نخدمهم نتمنى لهم أشرف شيء وأعز مكانة في حياتنا.

وقد مكنني عملي في جامعات باكستان ومعظم البلدان العربية تقريباً؛ مكنني بشكل أو بآخر من خدمة المجتمعات من خلال بناء مناهج علمية أو تحكيم أو زيارة لمتابعة تنفيذ وتأسيس الأقسام العلمية غرباً وشرقاً تقريباً، وأنا أعتبر هذه الخدمات هي أحد الجوانب العملية المطلوبة من الإسلاميين في خدمة الخلق.

وكان يأتينا في الجامعة الإسلامية بباكستان بشر من أقطار شتى لا تعرف اللغة العربية ولا يعرفون من الإسلام إلا الاسم، ولا يعرفون حتى حرمة الخمر، ووفقنا الله أن تكون هذه الجامعة منارة في هذه المنطقة، ووفقنا الله كذلك أن توغلت العربية والإسلام في قلب الوافدين.

وقد عانيت أنا وغيري كثيراً من المتطرفين، رغم ما كنا نقوم به في خدمة الدين؛ حتى كان بعضهم لا يلقي علينا السلام، مظنة أننا من علماء السلطة وأتباع الشرطة، ويعلم الله تعالى أننا لم نكن ولن نكون لا هذا ولا ذاك، نحن أولياء للدين وللمسلمين ونخدم خلق الله أجمعين.

وفي الجانب العلمي، أسست مدرسة علمية ووضعت البذرة في علم القواعد الاعتقادية الشرعية، ولي بعض الجهود في إحياء علم الكلام وأصول الدين، وتخريج عدد كبير من الباحثين، ولي بعض الإصدارات، منها ما صدر مؤخراً، مثل: «حاشية الحسن على اللمع للإمام أبي الحسن الأشعري»، وهو إصدار كان في معرض القاهرة الدولي للكتاب الذي أقيم الشهر الماضي.

وسأقوم، بإذن الله تعالى، على بيان المقومات والخصائص لعلم القواعد الاعتقادية الشرعية من الكتاب والسُّنة وكتب الكلام والفقه وأصوله، حتى يدخل في الدراسات العربية والإسلامية.

● في الختام، ما وصية فضيلتكم للأمة وللأجيال الصاعدة؟

– سأعطيكم وصيتين لا واحدة؛ أما الأولى فهي الثقة بالله عز وجل؛ فلتكن ثقتك بما في يد الله أوثق بما في يدك تعش كريماً عزيزاً وتمض إليه على خير حال، والثانية حفظ الوقت والعمر، فكل شيء يُعوَّض إلا الوقت، فإنه إذا فات لا يُعوَّض، وأقول للجميع: ثقوا بالله سبحانه ولا تضيعوا أعماركم تسعدوا دائماً.■

إعداد - عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

إن تناول حياة الرجال العظماء الذين رسخوا قواعد دعوة الإسلام المعاصرة ليست مادة تطرح من أجل الاطلاع أو التسلية؛ بل إن مراجعة تلك الحيوات والأحداث والتصرفات هي مادة للتأمل، والتعلم، والاعتزاز بوجود مثل هؤلاء الذين آلوا على أنفسهم إلا أن يحملوا أمانة الدعوة إلى الله تعالى.

وفي مثل هذا الشهر (فبراير) رحل فيه بعض هؤلاء العظماء، ومنهم:

مصلحون رحلوا في فبراير..

الخترش وآل محمود والعشماوي

سامي عبدالعزيز الخترش.. المسيرة الطيبة

لا تقاس أعمال الإنسان بعمره، فكم من صغار السن صنعوا أمجاداً في حياتهم، وتركوا سيرة عطرة يتدارسها الناس، ومن هؤلاء سامي الخترش.

ولد سامي عبدالعزيز الخترش في 16 يناير 1960م، وعاش في منطقة الشويخ بالكويت، ونشأ بها في أسرة حرصت على العناية بتعليمه خاصة بعدما ظهر نبوغه وتميزه العلمي.

أكمل تعليمه الأساسي بمدرسة الغزالي الابتدائية، ثم الشامية المتوسطة، وختمه بثانوية كيفان، قبل أن يتخرج في قسم الاقتصاد بكلية التجارة في جامعة الكويت عام 1984م بتقدير «جيد جداً»؛ ما أهَّله للسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة للحصول على الماجستير والدكتوراه التي حصل عليها في مايو 1990م.

درس الاقتصاد وشارك في تأسيس لجنة تطبيق الشريعة بالكويت والحركة الدستورية وأمانة الأوقاف

وبعدما عاد من أمريكا، أصبح عضو هيئة تدريس في قسم الاقتصاد تخصص اقتصاد رياضي في كلية التجارة والعلوم السياسية (كلية العلوم الإدارية حالياً) عام 1990م، وتولى منصب العميد المساعد للشؤون الطلابية بالكلية عام 1995 - 1996م.

كان نشيطاً خلال مرحلته الجامعية؛ فكان رئيساً للهيئة الإدارية لاتحاد الطلبة للعامين الدراسيين 1983/1982 و1984/1983م، كما كان عضواً في الهيئة الإدارية لاتحاد طلبة الكويت في المؤتمر الثامن حتى الثاني عشر (أي خلال دراسته في جامعة الكويت والولايات المتحدة الأمريكية)، وعضواً بالهيئة الإدارية في اتحاد طلبة الكويت فرع الولايات المتحدة الأمريكية عام 1988م.

كان محباً للقرآن الكريم، فحرص على حفظ بناته له وإتقانه، وكان أحد مؤسسي اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وأحد مؤسسي الحركة الدستورية الإسلامية، وأحد مؤسسي الأمانة العامة للأوقاف، وقد عمل مستشاراً علمياً للأمين العام للأمانة، كما عُين مديراً لمركز أبحاث الوقف والدراسات الاقتصادية بها.

اتصف ببره الشديد بوالديه، واشتهر بتواضعه الجم ونشاطه في العمل لتصحيح مفاهيم الإسلام؛ فكان مربياً لكل من تعامل معه في البيت والعمل والشارع.

اكتشف عام 1996م إصابته بالسرطان؛ فصبر واستمر عاملاً لدينه ووطنه ومجتمعه حيث لم يهزمه مرضه، حتى سكن هذا الجسد بعد صراع شديد مع المرض لسنوات في فجر يوم الأحد الموافق 6 ربيع الآخر 1435هـ/ 7 فبراير 2014م.■

حسن العشماوي.. حصاد الأيام

في أسرة أرستقراطية، ولد حسن محمد العشماوي، ابن الوزير محمد العشماوي بمدينة المنيا بصعيد مصر، عام 1340هـ/ 1921م، وتلقى تعليمه في المدارس الابتدائية والثانوية، ثم التحق بكلية الحقوق، وتخرج فيها عام 1942م، ثم حصل على دبلوم القانون الخاص 1942م، ونظراً لتفوقه اشتغل في النيابة والقضاء، وذلك قبل أن يستقيل منه عام 1949م.

تعرف العشماوي إلى الشيخ حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، رفقة صهره منير الدلة (ابن الأثرياء وزوج أخته آمال)، وسرعان ما تقرب من البنا لما امتلكه من مؤهلات قيادية، حتى تم اختياره بمكتب الإرشاد أواخر حياة البنا.

تولى الدفاع عن الإخوان المتهمين في قضايا «الجيب» و«الأوكار»، وفاز بعضوية مجلس نقابة المحامين، كما كان حلقة الاتصال بين الإخوان وحركة الضباط الأحرار، كما كان له دور في إخفاء أسلحة عبدالناصر في عزبة أبيه أثناء معارك القنال التي استغلها عبدالناصر فيما بعد في تلفيق القضايا له!

كان واحداً من الثلاثة الذين رشحهم الإخوان لتولي حقائب وزارية بعد ثورة يوليو بناء على طلب مجلس قيادة الثورة، إلا أنهم رفضوه لصغر سنه.

عبدالله آل محمود.. مؤسس المحاكم الشرعية بقطر

كان أحد تلاميذها النجباء ثم صار معلمها وقاضيها الشرعي، إنه الشيخ عبدالله بن زيد بن محمود الذي ولد في حوطة بني تميم بجنوب نجد بالحجاز عام 1327هـ/ 1907م، ومات والده وهو صغير فتولت أمه تربيته؛ حيث دفعت به في جدول العلم الرقراق لينهل منه.

اتصف الشيخ بالفطنة والذكاء والقدرة على الحفظ؛ ما ساعده على حفظ القرآن والعلوم التي كان يدرسها على علماء عصره أمثال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي السعودية، الذي رشح الشيخ عبدالله للتدريس في مكة، كما سافر إلى قطر طلباً للعلم على يد الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع عام 1933م.

وفي مطلع ذي الحجة 1359هـ/ 1940م، قدم الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني إلى مكة قاصداً الحج، وبعد أداء الفريضة طلب

رشحه الملك عبدالعزيز للفتيا في قطر فأصبح مرجعها وأسس القضاء الشرعي بها

من الملك عبدالعزيز آل سعود أن يبعث برجل يصلح للقضاء والفتيا حيث كانت قطر في ذلك الوقت دون قاضٍ، بعد أن غادرها محمد بن مانع، وقد وقع اختيارهما على الشيخ عبدالله بن زيد بإيعاز من الشيخ ابن مانع، ومنذ ذلك الوقت وحتى وفاته وهو مرجع الفتيا في دولة قطر، والقاضي العادل ومؤسس القضاء الشرعي فيها.

لم يكن ابن محمود بالذي يكتفي بالوعظ والإرشاد، بل سارع بهمة عالية وفطنة وذكاء إلى المشاركة في معالجة قضايا المسلمين وما يعيشون في عصرهم وفق منهج القرآن وهدي النبي عليه الصلاة والسلام.

كما كان خطيباً مفوَّهاً، تجمع خطبه الحكمة والفقه والتفسير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان أديباً وصاحب قدرة بلاغية ويحفظ الشعر ويستشهد به.

ظل عاملاً مجاهداً لدينه، وقد وهب الله تعالى له 17 ولداً وبنتاً في مراكز مرموقة بالدولة، حتى توفي في مدينة الدوحة ودفن فيها في 28 رمضان 1417هـ/ 6 فبراير 1997م.■

المصادر

1 – عادل العصفور: د. سامي عبدالعزيز الخترش.. بصمات مهمة بالمجتمع الكويتي، مجلة المجتمع، 9 فبراير 2021م، https://bit.ly/344pPcU.

2 – سيرة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رحمه الله: موقع الشيخ بن محمود الرسمي، https://bit.ly/3sPXMbv.

3 – عبدالله العقيل: الداعية حسن محمد العشماوي، مجلة المجتمع، العدد 1734، 13 يناير 2007، صـ38–39.

كان واحداً من الثلاثة الذين رشحهم «الإخوان» لتولي حقائب وزارية بمصر بعد ثورة يوليو 1952م

وأثناء حرب القنال، جمدت بريطانيا أموالاً مصرية؛ ما دفع عبدالناصر بعد الثورة لإرسال حسن العشماوي، والفضيل الورتلاني لأمير دولة الكويت لطلب قرض يساعد مصر، كما أهّلت كفاءته القانونية ليكون عضواً في لجنة وضع الدستور المصري عام 1953م.

في بداية عام 1954م، قُبض عليه بتهمة إخفاء أسلحة، وحينما طلب عبدالناصر للشهادة حُفظ التحقيق في القضية وأفرج عنه بعد شهرين، إلا أنه طُلب للاعتقال بعد أحداث المنشية عام 1954م؛ فبدأ رحلة الهروب الكبير والمثيرة في الصحراء، فقام عبدالناصر باعتقال والده الوزير محمد العشماوي، وكان قد اعتقل زوج أخته منير الدلة وحكم عليه بالمؤبد.

استطاع حسن العشماوي بعد 3 سنوات الهروب للسعودية، وعمل مستشاراً بوزارة المالية، ومنها إلى سويسرا، ثم المغرب، وعمل أستاذاً بكلية الحقوق بجامعة الرباط، ثم استقر في الكويت، وعمل نائباً لرئيس إدارة الفتوى والتشريع، ثم مستشاراً قانونياً لوزارة الدفاع والداخلية في الكويت.

كان العشماوي شخصية فذة في ذكائه اللماح، وروحه الوديعة، وصدره الرحب الذي اتسع للحوار، مع الإصرار على الحق، ووعي عميق لمنهج القرآن العظيم، وكان يرى الإسلام العظيم طريق الإنسانية حتى تقوم الساعة، كما كان بيته دائماً مفتوحاً للجميع، ومنتدى للفكر والتسامح.

توفي العشماوي يوم الأربعاء 17 من ذي الحجة 1391هـ/ 2 فبراير 1972م في الكويت، وقام بتغسيله صديقه عبدالرحمن سالم العتيقي، ودُفن بمقبرة الصليبخات، في جنازة مهيبة.■

جابر عصفور..
وحصاد الهشيم!

أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

في لفتة غير عادية، اهتمت الصحف العبرية في الوطن السليب (فلسطين) بوفاة د. جابر عصفور، وزير الثقافة المصري الأسبق، الذي رحل إلى الدار الآخرة في 31 ديسمبر 2021م.

ففي أوسع الصحف انتشاراً بالكيان الصهيوني الغاصب، كتب «تسفي برئيل»، في 3 يناير 2022م، مقالة مسهبة تناول فيها مواقف الراحل من عدة زوايا؛ فأوضح موقفه المائع من مسألة التطبيع الذي عرّفه بـ«العمل الذي يتمتع من ينفّذه بفائدة مالية أو روحية»! وأشار «برئيل» إلى بعض ما كتبه المثقفون العلمانيون في مصر والدول العربية حول الراحل؛ حيث أطلقوا عليه «المناضل الكبير من أجل التنوير»، و«طلائعي التنوير المصري»، و«رمز التنوير»، الذي انبرى لمحاربة المحافظة (...) والقتال ضد الراديكالية الدينية (الإسلامية)، ومهاجمة زعامة الأزهر -وهو المؤسسة الدينية الأهم في الدول الإسلامية، ومقره مصر- وزعم أن الخطاب الديني ليس هو الدين، ورد على انتقاد حاد لعلماء الأزهر: «أعتبر المقالات التي يكتبها عدد من فقهاء الشريعة في الأزهر دليلاً على تميزهم بضيق الأفق»!

وبعد أن ترك الوزارة، عاد عصفور إلى انتقاده الشديد للأزهر، وسماه «مؤسسة تنتج إرهابيين متطرفين»، وقال في مقابلة مع المجلة الأدبية «الجديد»: «تطوُّر الخطاب الديني إلى خطاب إرهابي هو من علامات ثقافة التخلف».

يشير «برئيل» في سياق التطبيع إلى أن جابر عصفور نفسه تجاوز الخطوط عدة مرات والتقى صهاينة في مصر وخارجها، وعندما فاز الكاتب اليهودي «دافيد غروسمان»، في عام 2017م، بجائزة «بوكر» عن كتاب «حصان واحد دخل إلى البار»، قال عصفور، في مقابلة مع صحيفة «اليوم السابع» المصرية: إن «فوز غروسمان أمر طبيعي»، وأضاف: «يجب القول بنزاهة بأن الأدب «الإسرائيلي» يستحق الجوائز العالمية»!

من مقولاته: «أعتبر المقالات التي يكتبها عدد من فقهاء الشريعة بالأزهر دليلاً على تميزهم بضيق الأفق»!

كان طموحه منذ بداياته حتى آخر نفس له أن يتقرب إلى السلطة بأي وسيلة وأي ثمن

ذكاء وطموح

لا ريب أن جابر عصفور، المولود بمدينة المحلة الكبرى بمحافظة الغربية، في 25 مارس 1944م، كان يمتلك ذكاء كبيراً، وأوتي نشاطاً ملحوظاً بالنسبة لأقرانه، وطموحاً بغير حدود، وهو ما صعد به إلى سدة الوزارة، وجعله يتصدر حركة الثقافة في مصر، ويوجهها الوجهة التي تريدها السلطة.

لقد نشأ في أسرة متواضعة، وهذا ليس عيباً في حد ذاته، ولكن العيب أن يتحول الأمر إلى حالة من التكبر والعلو والإفساد في الفكر والمعتقدات، لم تحُل النشأة المتواضعة لعصفور دون انتظامه في التعليم، والبروز بين أقرانه، والحصول على درجة الليسانس من قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة، ثم درجتي الماجستير والدكتوراه من الكلية ذاتها التي عين معيداً بها بعد أن نقله عبدالناصر من التدريس في إحدى مدارس التعليم الإعدادي بالفيوم.

ساعده ذكاؤه ونشاطه وطموحه على إنتاج عدد هائل من المؤلفات، استطاع نشرها في مؤسسات الدولة وخارجها بعد أن انفتحت له الأبواب على مصاريعها، وأذكر أنه ما كان ينتهي من سلسلة مقالات ينشرها في كبريات الصحف التي تكافئ بسخاء كبير، فلا يكاد يمضي على نشر آخر مقالة أقل من شهر، حتى يراها الناس كتاباً مطبوعاً بين أيديهم في سلاسل واسعة الانتشار، وللأسف الشديد؛ فإن معظم إنتاجه الفكري والأدبي والنقدي لا يُحسب له، فبينما يمكن الجدل والنقاش، والأخذ والعطاء مع دراساته النقدية ومترجماته، فإن كتبه التي تناولت الإسلام وقضاياه المعاصرة كانت تمثل بالنسبة له حصاد الهشيم، وتمثل حالة غريبة بالنسبة لأستاذ في اللغة العربية يفترض فيه أن يكون درعاً للإسلام وحامياً لمفاهيمه الصحيحة ومبشراً بها.

كان من الطبيعي، وهو رجل الثقافة الأول في البلاد في وجود وزراء ثقافة رسميين، أن يحظى على مدى أربعين عاماً بكثير من التكريمات والجوائز والأوسمة الرسمية داخل مصر وخارجها، من بينها

جائزة القذافي الشهيرة التي اعتذر عن عدم قبولها الكاتب الإسباني «خوان غويتسولو»؛ احتجاجاً على استبداد مانح الجائزة، فضلاً عن جوائز الدولة الكبرى.

لقد استطاع أن ينشئ للسلطة ما عرف بـ«الحظيرة الثقافية»، وتعني أن من يعلن ولاءه للوزارة صار مرضياً عنه ودخل الحظيرة، ومن لم يؤيد سياسة الوزارة فقد حرم من نعيم الحظيرة وجنتها!

الطموح والولاء

كان طموح عصفور منذ بداياته حتى آخر نفس من أنفاسه أن يقترب من السلطة بأي وسيلة وأي ثمن، وقد نجح في ذلك!

كان ناصرياً في فترة عبدالناصر، وأعلن ولاءه للحاكم المهزوم أبداً، المستبد طول حياته، الفاشل في إدارته، وظل يفاخر أنه أنصفه بتعيينه معيداً في الكلية التي تخرج فيها، ولم يذكر كلمة عن استبداده وطغيانه ووحشيته ضد خصومه، فعصفور لا يعنيه المواطن ولا الوطن!

بعد رحيل عبدالناصر كان في بلاط السادات، حيث تولى مع أستاذته سهير القلماوي وآخرين العناية بأمر الطالبة جيهان صفوت رؤوف المعروفة باسم جيهان السادات، مذ كانت طالبة في الليسانس بقسم اللغة العربية في كلية الآداب جامعة القاهرة، حتى حصلت على الماجستير

مكّن أصدقاءه وتلاميذه من مفاتيح المشهد الثقافي الذي أضحى يتلخص في حرمان الثقافة الإسلامية من الحضور

آذى كثيراً ممن ينتمون إلى الأزهر ودار العلوم من مخالفيه في الرأي وحرمهم من الترقيات

والدكتوراه في الأدب المقارن، وبعد رحيل السادات حظي بهجاء مرير من عصفور!

وفي عهد مبارك، كانت الجائزة الكبرى، فقد استطاع عصفور أن يتخطى أستاذه عز الدين إسماعيل، الذي أشركه معه في تحرير مجلة «فصول»، وأن يكون لصيقاً بالوزير الجدلي فاروق حسني، الذي أفاد منه إفادة كبيرة في إنشاء الحظيرة الثقافية، وتصدر المشهد الثقافي، وأن ينشئ المركز القومي للترجمة، وهذا مما يحسب له، وقد كتبت في حينه أشيد بهذا المركز الذي تحتاجه الثقافة، وإن كان المركز قد اتخذ اتجاهاً آخر يصب في الاهتمام بالأفكار المعادية للهوية الثقافية الإسلامية للأمة.

لقد سيطر عصفور في عهد الوزير الجدلي على المجلس الأعلى للثقافة، والجوائز، والمؤتمرات، والمجلات، ونوافذ النشر، ومنابر الثقافة في الصحف والتلفزة، وقصور الثقافة، ومكن أصدقاءه وتلاميذه من مفاتيح المشهد الثقافي الذي أضحى يتلخص في حرمان الثقافة الإسلامية من الحضور، وإتاحة المجال للثقافة العلمانية بكل تجلياتها الشيوعية واليسارية والناصرية والطائفية والأرزقية، وفقاً لتعبير الكاتب الساخر محمود السعدني.

وإذا عدنا إلى بعض مؤلفاته، سنجده أول من تجرأ على وضع الإظلام بدلاً من الإسلام! وتأمل هذه العناوين: «التنوير يواجه الإظلام»، «محنة التنوير»، «دفاعاً عن التنوير»، «هوامش على دفاتر التنوير»، «إضاءات»، «أنوار العقل».. وهي تدل لأول وهلة على مدى الكراهية والبغض للدين الحنيف ومعطياته، ولا يظنن أحد أني اكتفيت بدلالة العناوين، فقد تناولت فحوى معظم هذه الكتب في سلسلة ممتدة من مقالاتي منذ التسعينيات، ورأيت فيها لعباً بالمصطلح المراوغ الذي يستخدمه عصفور لتبرير حربه الشرسة ضد قيم الإسلام ومفاهيمه.

المهمة الشريرة!

إن الحملة المحمومة ضد الإسلام التي قادها عصفور ورفاقه في العقود الأخيرة، وأشار إلى بعضها الكاتب الصهيوني «برئيل»، تجعلنا نتساءل: لماذا قام عصفور بهذه المهمة الشريرة؟ وماذا أخذ معه وهو يغادر الدنيا إلى دار الآخرة؟

لقد تجاوز في مهمته إلى الانتقام ممن خالفوه الرأي والفكر، فآذى كثيراً ممن تقدموا للترقي ممن ينتمون إلى الأزهر ودار العلوم، وحرمهم من الترقيات.

لقد دفعه طموحه ذات يوم إلى أن يدوس على جثث شهداء ثورة يناير ودمائهم ليقسم اليمين الدستورية في وزارة يقودها الفريق أحمد شفيق، وزيراً للثقافة لأول مرة، وفي أول اجتماع للوزارة التي سبقت انتصار الثورة بأيام، اكتشف رئيس الوزراء أنه لم يوقع أوراقاً مطلوبة، فاشتدّ عليه أمام زملائه الوزراء بما يفيد إقالته، ولم ينطق عصفور بكلمة، وانسحب يجلله السواد والخزي، وراح يزعم أنه استقال، بعد عشرة أيام كئيبة!

عصفور لم يحصد إلا الهشيم، وغفر الله لنا وله!■

مقال

الوفاء بالعهد

من شيم الرجال وخصال المؤمنين

د. جمال نصار

أستاذ فلسفة الأخلاق بجامعة إسطنبول صباح الدين زعيم

الوفاء بالعهد خلق إسلامي رفيع، يجب أن يتحلى به المسلم في جميع شؤونه، وفي تعامله مع الله، ومع الناس.

وقد أمر الله عز وجل بالوفاء بالعهد أمراً صريحاً في عدد من آيات القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: 152)، وقوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: 34)، وقوله، عز وجل: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة: 40).

وفضلاً عن الأمر والنهي المتكررين، عرض القرآن الكريم في أكثر من عشرين آية لبيان أحكام الإسلام الخاصة بالعهود، فأشاد بالموفين بعهودهم، وعدّ الوفاء من البر والحق، وقرنه بالصلاة والزكاة، في قوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: 177)، وقال: إن الموفين بعهدهم هم الذين استجابوا لربهم، ووعدهم الحسنى، ووصفهم بأنهم أولو الألباب، كما وعدهم الثواب والأجر العظيم؛ ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾(الفتح: 10)، والحب من الله عز وجل؛ ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: 76)، وبيّن تبارك وتعالى أن نقض العهد من المنكرات التي لا تليق بالمؤمنين الذين يجعلون الله كفيلاً عليهم عند التعاهد؛ ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل: 91)، ولعن الذين ينقضون العهد من بعد ميثاقه؛ ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: 25)، واللعنة معناها أن هذا الإثم من الكبائر.

وقد حثت السُّنة النبوية الشريفة على الوفاء بالعهد بشتى صوره، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهداً، ولا يشد عقدة أو يحلها حتى يمضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء»[1]، ويقول أيضاً: «من كان له حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»[2].

كل هذه النصوص تؤكد أن الوفاء بالعهد «من أهم الفرائض التي فرضها الله تعالى لنظام المعيشة والعمران»، وأن نقض العهد يعتبر كبيرة من الكبائر، و«العهد لا بد من الوفاء به، كما أن اليمين لا بد من البر به، ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالحق والخير وإلا فلا عهد في عصيان، ولا يمين في مأثم»[3].

من صور الوفاء بالعهد والالتزام به:

أولاً: الوفاء بما أخذه الله على عباده من وجوب عبادته، وعدم الإشراك به، وهذا أعلى درجات الوفاء بالعهد[4]، ويسميه البعض الوفاء بالعهد الأعظم، فالله تبارك وتعالى خلق الإنسان بقدرته، ورباه بنعمته، وطلب منه أن يعرف هذه الحقيقة، وأن يعترف بها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (يس).

من أهم الفرائض التي فرضها الله تعالى لنظام المعيشة والعمران

الغدر ينزع الثقة ويثير الفوضى ويمزق الأواصر ويرد الأقوياء ضعفاء واهنين

ثانياً: الوفاء بمبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم على أعمال الطاعة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الناس إلى الإسلام، يبايع الوفود المقبلة عليه بتعاليم يتخيرها من بين التعاليم الكثيرة التي حفل بها الدين على حسب ما يرى من طاقتهم النفسية والعقلية.

يقول عوف بن مالك رضي الله عنه: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟»، فبسطنا أيدينا وقلنا: نبايعك يا رسول الله، قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وتصلوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا»، وأسرّ كلمة خفية قال: «لا تسألوا الناس شيئاً»، قال عوف بن مالك: فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً أن يناوله إياه[5].

فتعاليم الإسلام كل لا يتجزأ، والعمل بها واجب محكم، في كل زمان ومكان[6].

ثالثاً: الوفاء بالأيمان، يقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (النحل).

فبين الله عز وجل أن الغدر ينزع الثقة، ويثير الفوضى، ويمزق الأواصر، ويرد الأقوياء ضعفاء واهنين، وبعض الناس يحلو

قطب: اتخاذ الأيمان خداعاً يزعزع العقيدة في الضمير ويشوّه صورتها في ضمائر الآخرين

لهم استحلال حلّ العقود بعد عقدها، رغبة منهم في عقد آخر، يدرّ عليهم ربحاً أوفر، والدين الإسلامي لا يقر تدليس العهود والمواثيق جرياً وراء المنفعة العاجلة، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل).

يقول صاحب «الظلال»: «واتخاذ الأيمان غشاً وخداعاً يزعزع العقيدة في الضمير، ويشوه صورتها في ضمائر الآخرين، فالذي يقسم وهو يعلم أنه خادع في قسمه لا يمكن أن تثبت له عقيدة، ولا أن تثبت له قدم على صراطها، وهو في الوقت ذاته يشوّه صورة العقيدة عند من يقسم لهم ثم ينكث، ويعلمون أن أقسامه كانت للغش والدخل ومن ثم يصدهم عن سبيل الله بهذا المثل السيئ الذي يضربه للمؤمنين بالله، ولقد دخلت في الإسلام جماعات وشعوب بسبب ما رأوا من وفاء المسلمين بعهدهم، ومن صدقهم في وعدهم، ومن إخلاصهم في أيمانهم، ومن نظافتهم في معاملاتهم، فكان الكسب أضخم بكثير من الخسارة الوقتية الظاهرية التي نشأت عن تمسكهم بعهودهم»[7].

رابعاً: الوفاء بالحق مع المؤمن بالإسلام والكافر به؛ فالفضيلة لا تتجزأ، فلا يكن المرء خسيساً مع قوم، كريماً مع آخرين، عن عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أيُّما رجُلٍ أمَّن رجُلاً على دمه ثمَّ قتَله فأنا مِن القاتلِ بريءٌ وإنْ كان المقتولُ كافراً»[8].

خامساً: الوفاء بقضاء الدَّيْن، وهو من الشؤون التي اهتم بها الإسلام، ونوه بقيمته، وفي الحديث: «مَن أخَذَ أمْوالَ النّاسِ يُريدُ أداءَها أدّى اللّه عنْه، ومَن أخَذَ يُريدُ إتْلافَها أتْلَفَهُ اللّه»[9].

وهناك صور أخرى للوفاء، منها: الوفاء بين الزوجين، والوفاء بالنذر، والوفاء بما التزم به الإنسان من بيع أو إجارة، والوفاء بالقسم، والوفاء بأجر الأجير، والوفاء بما تلتزم به الدول في العلاقات الدولية ما دامت لا تضر بالأمة الإسلامية[10]. ■

الهوامش

(1) مسند أحمد، حديث رقم (19436).
(2) مسند أحمد، حديث رقم (6692).
(3) خلق المسلم، الشيخ الغزالي، ص51.
(4) أصول المنهج الإسلامي، عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد، ص335.
(5) سنن أبي داود، حديث رقم (1642).
(6) الأخلاق الإسلامية ودورها في بناء المجتمع، د. جمال نصار، ص228.
(7) في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 2192.
(8) صحيح ابن حبان، حديث رقم (5982).
(9) صحيح البخاري، حديث رقم (2387).
(10) الأخلاق الإسلامية ودورها في بناء المجتمع، مرجع سابق، ص231.

مقال

د. عامر البو سلامة

كاتب سوري

الدعاة.. وعالمية الإسلام

في توصيف الأديان توجد أديان قومية تقتصر على قوم محددين، كأن يقال هذا الدين للشعب الفلاني، وتوجد أديان ترتبط بعرق معين، فلا يحق لأحد أن يكون من هذا الدين إلا إذا كان من هؤلاء الناس، وغير ذلك من الصور الكثيرة، وهناك أديان تقوم على قضايا عنصرية تستند إلى العصبيات، وينتج عنها أشكال من عصبيات الجاهلة، المفرقة المؤلمة، المحزنة التي لا ترتبط بالمعاني الإنسانية؛ بل فيها الطامات المهلكات، والقضايا العبثيات، ومسائل مليئة بالخرافات، قديماً وحديثاً.

لكن من المعلوم من الدين بالضرورة -وهو من بدهيات خصائص الإسلام، والتصور الإسلامي- أن الإسلام دين عالمي، ونبينا صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة، على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأماكنهم، فهو للعرب وللعجم، والشرق والغرب، والشمال والجنوب، فهو للإنسان كل الإنسان، ليس لقريش فقط ولا لأهل مكة فحسب، ولا للعرب وحدهم، وإنما للعالمين جميعاً، وجعل الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين، فلا نبي بعده، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ (الأعراف: 158)، وخاطب القرآن الكريم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ (سبأ: 28).

العمل الدعوي ونشر الإسلام والذب عنه لها مستويات عظيمة أساسها دخول الناس في دين الله تعالى

من مفردات العمل الدعوي صناعة علاقات مميزة تسانده من خلال البرامج والخطط

وفي صحيح البخاري، من حديث جابر ابن عبدالله رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قالَ: «أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي»، وذكر منها: «وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً».

ومن مجموع هذه النصوص وغيرها، يتأكد لنا أن الإسلام دين شامل، يشمل الإنسان والمكان، وهو صالح لكل زمان ومكان، ولكل إنسان وجان، وهذا من ثوابت الإسلام.

أمة الإسلام:

ومجموع من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، من الذين آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، يشكلون أمة الإسلام، من خلال هذا الكم الكبير من حيث العدد البشري، حيثما كانوا وأينما حلوا، سواء في بلاد المسلمين أم في غيرها، ويكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وصار من دوحة الأخوة الإسلامية التي قال تعالى فيها: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: 10)، ويرتبط مع سائر إخوانه برباط الجسد الواحد، الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له باقي الجسد بالحمى والسهر، وأكثرهم يجمعهم الموقع الجغرافي الواحد، أو مجموعة البلدان، من طنجة إلى جاكرتا، التي تعرف بـ«العالم الإسلامي»، حماها الله وكثر خيرها وبارك فيها، أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»، إنه ذو دلالة ربانية، وهذا له عمقه السياسي، وبعده الإستراتيجي، الذي ينسحب على قوة الأمة، وعظيم حضورها، وشهودها الحضاري.

من لوازم عالمية الإسلام:

الدعوة لهذا الدين، ونشر تعاليمه في ربوع العالمين، ووجوب الدعوة إلى الإسلام، والتعريف به، وشرح مبادئه، بفهم سليم، ووسطية ربانية، وتصور صحيح، بعيداً عن الإفراط أو التفريط، والغلو والتشنج، بأسلوب جذاب، وطرائق سهلة، وهذا يحتاج إلى جماعة من المعلمين حتى تصل هذه المعاني والعقائد والتعاليم، والقيم والمبادئ الربانية -من حملة المشروع من الرجال

والنساء- إلى كل إنسان على وجه الأرض، وهذا واجب المسلم الذي ارتقى بمستوى مسؤوليته حتى يأخذ لقب «الأستاذية»، ومستوى معرفة ما يجب عليه في هذا الجانب الحضاري القويم، إن في نعوت «الداعية» كصفة «القدوة»؛ فيكون أستاذاً عاملاً ملتزماً، يربي بحاله قبل مقاله، ملاحظاً الواقع ومتغيراته، والعصر وحاجاته، والوقت وأدواته، وجديد العمل وآلياته، حتى تشرق الأرض بنور هذا الإسلام، فلا شك ولا ريب أن المستقبل لهذا الدين.

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله».

وفي صحيح البخاري، عن سعد بن سهل الساعدي رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمر النَّعم»، وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار، يقعنَ فيها، وجعل يحجزهنَّ ويغلبنه، فيقتحمن فيها، فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخُذ بحُجَزِكم عن النار: هَلُمَّ عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني، فتقتحمون فيها».

والعمل الدعوي، ونشر الإسلام والذب عنه له مستويات عظيمة من العمق المطلوب، التي أساسها دخول الناس في دين الله تعالى، ومن ثم حصول الأجر والثواب من الله سبحانه، وثانيها تكثير المسلمين، وفي هذا قوة للمسلمين، وكانت العرب تقول: إنما العزة للكاثر، كما أن الانتشار في كل بقعة من الأرض له دلالاته الكبرى في عالم السياسة.

من مفردات العمل الدعوي في هذه المرحلة:

1 - رصد الشبهات عن الإسلام والمسلمين ودفعها، والرد عليها، سواء بالطريقة الفردية، أو من خلال المؤسسات الإعلامية، أو المراكز البحثية.

2 - صناعة علاقات شاملة مميزة، تساند هذا العمل، بطريقة البرامج والخطط.

3 - الاهتمام بإعداد الدعاة العاملين الربانيين، الصادقين المخلصين، ليقوموا بدور التربية والتعليم، والتوجيه والإرشاد.

4 - العناية بالمساجد والمراكز ودور الثقافة الإسلامية، بصورة تتناسب مع روح العصر ومتطلباته.

5 - لا بد من لغة التطوير، والتفكير الدائم بالوسائل المفيدة، والطرائق الحديثة.

6 - الإعلام والمطبوعات لهما أثر كبير في حياة الناس، فعلينا أن نهتم بهما بلغة علمية، قائمة على الاستفادة من كل ما وصل إليه البشر من مهنية راقية في هذا الميدان.

7 - التواصل بين المسلمين، وصناعة منصات لهذا التواصل، يكون من ثمارها التعاون والتنسيق، وتبادل الخبرات، من خلال جسدية ناضجة، بتخطيط سليم هادف.

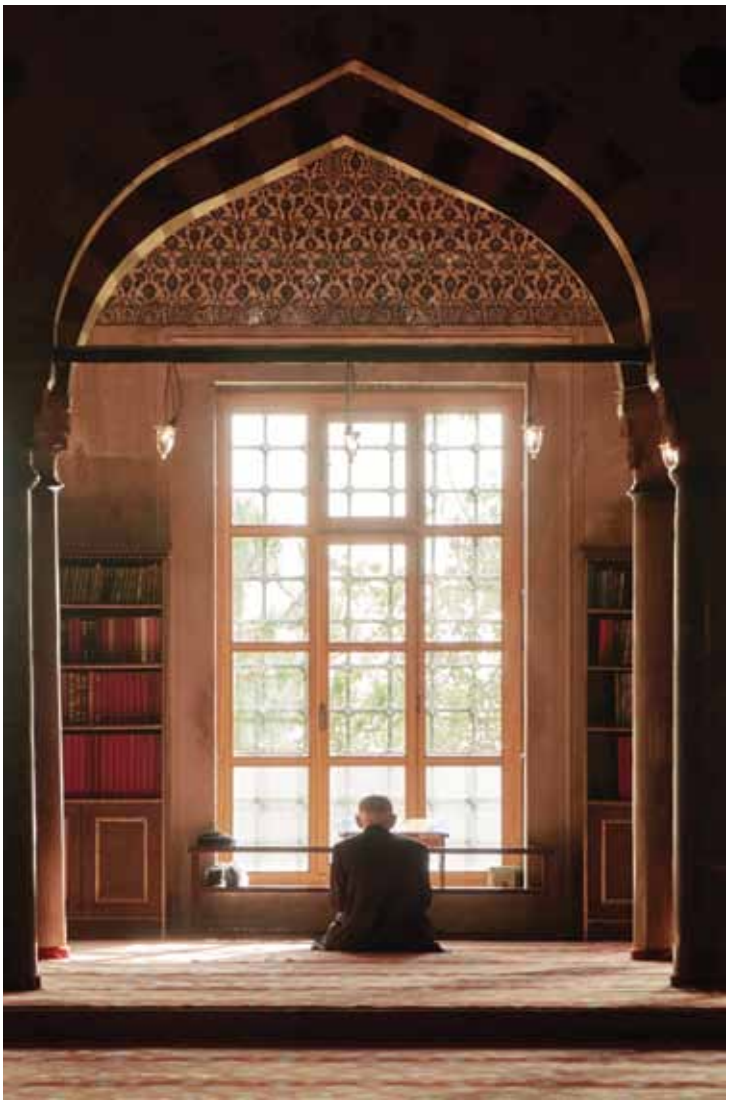

التاريخ والواقع يشهدان للعاملين الصادقين للإسلام أنهم كانوا مشاعل هداية وتضحية وإيثار

شبهة ورد:

يقول بعض الناس: إن شعار «دعوة الناس وتربيتهم وتعليمهم» يدل على التعالي، ورؤية النفس، والكبر، ودافعه الأساس حب الهيمنة، وعشق التسلط، والطمع بما في أيدي الناس من خيرات، والطمع بثرواتهم، فأنتم الأساتذة، والآخرون صغار أقزام، يتلقون منكم، ويستسلمون لكم!

وهذا كلام غريب عجيب مدهش؛ لأن من صفات الداعية الإخلاص، ومن نعوت المعلم التفاني في أداء هذه المهمة الشاقة، والرسالة المضنية، والقيام بالتوجيه دليل على الرحمة بالناس، والشفقة عليهم، والحقيقة تقر بذلك في الغالب الأعم! فأين التعالي والكبر والعجب؟ بل الأمر بالعكس من هذا، إذ يشهد التاريخ والواقع للعاملين الصادقين للإسلام أنهم كانوا مشاعل هداية، ومنارات خير، فلم يمدوا أيديهم طمعاً، بل زهدوا بما في جيوب الناس، وسخروا ما في جعبتهم من فضل ليكونوا جسر محبة وتضحية وإيثار، واقرؤوا سير كبار الدعاة، في القديم والحديث، لتجدوا هؤلاء قدوة مثلى، وتأثر بهم من رآهم وخالطهم وسمع منهم، وإن سلوك كثير منهم وأخلاقه، وحسن تعامله، وجميل تواضعه، كانت سبباً بدخول الناس في دين الله أفواجاً.■

مقال

د. أحمد عيسى

كاتب وأديب

مواسم التنجيم والدجل!

مع بداية كل عام، يطل علينا المنجمون والدجالون ومدّعو قراءة الغيب بسيل متضارب من تنبؤاتهم عما سيحدث في العام الجديد، فيتنبأ هذا بحرب تنشب، وذاك بزلزال يضرب، وثالث بزعيم يُصعق، وآخر بجيش يُسحق!

لقد انتشرت في وسائل الإعلام والاتصال المقروءة والمرئية والمسموعة في البلاد الإسلامية ظاهرة غير إسلامية؛ ألا وهي «التنجيم»، بكل أنواعه، وادعاء معرفة الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وحده عز وجل؛ فوجب التحذير منها، وإنكارها، حماية لجناب التوحيد.

الإسلام قضى على مظاهر الخرافة والشعوذة والتلاعب بآمال الناس وآلامهم وشدد في تحريمها

لا يزال 40% من الفرنسيين و30% من الأمريكيين يؤمنون بالتنجيم وهي تجارة بليونية في دول عديدة

لقد قضى الإسلام على كل مظاهر الخرافة والاحتيال والتلبيس والشعوذة والتلاعب بآمال الناس وآلامهم، وشدد في تحريمها، فغرس في قلوب أتباعه أن الله وحده سبحانه هو الذي يعلم الغيب ويقدر على النفع والضر، وواجب المسلم أن يتعلق بالله تعالى وحده، وأن يفوض أمره إليه.

المنجمون يزعمون أنهم يعرفون المغيبات من أمور الناس، فيخدعونهم، ويأكلون بالباطل أموالهم؛ فهؤلاء لا يليق بمسلم أن يأتي إليهم، أو يسمع لهم، ولا يحل له أن يصدقهم، ويجب عليه تنبيه الناس إلى أضرارهم.

والكاهن يدعي معرفة الغيب بأسباب مختلفة، كضارب الحصى وقارئ الكف والفنجان، وكالعراف والرمّال والمنجّم الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه، وقد يستخدمون الظن والتخمين والحدس، أو التجسس، أو التجربة والعادة، أما الأخبار التي يصيبون فيها مما لا يستند إلى التجربة والحدس من الأخبار المستقبلية، فإن مصدره الشياطين، منازعةً رب العالمين فيما اختص من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: سأل أناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليسوا بشيء»، قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة».

وفي الحديث بقاء استراق الشياطين السمع، لكنه قل وندر حتى كاد يضمحل بالنسبة لما كانوا فيه من الجاهلية.

يذكر التاريخ أنه مع اقتراب عام 999م، ذكر العرافون أن نهاية العالم ستكون على آخر ذاك العام، وتدفق الحجاج المسيحيون إلى القدس أرض المحشر قادمين من كل أنحاء أوروبا في قوافل كبيرة تضم فئات المجتمع، كأنهم جيش عرمرم هائم على وجهه، بعد أن باعوا جميع ما يملكون من حطام الدنيا، وعيونهم متجهة نحو السماء في خوف ووجل يتوقعون أن تنفرج السماء ويهبط منها المسيح.

ورغم ظهور كذب أدعياء الغيب، فإنه لم يتوقف بعض الناس عن تصديق الافتراءات والخرافات، فتنبأ المنجمون بأن نهاية العالم وفناء البشر ستكون عام 1186م، ثم عام 1986م، ولا يزال 40% من الفرنسيين، طبقاً لموقع «فرنسا 24»، وكذلك 30% من الأمريكيين يؤمنون بالتنجيم، طبقاً لاستطلاع «بيو» عام 2018م، وهي تجارة بليونية في كثير من دول العالم، مثل الهند، والصين،

عميل للمخابرات الأمريكية اعترف بأنه أمكن التأثير على رؤساء 3 دول من خلال خرائط للنجوم مسربة

المنجمون زعموا للمعتصم أن الزمان لا يوافق فتح عمورية لكنه لم يعبأ بترهاتهم وخرج وأكذب الله المنجمين

وسريلانكا، ونيبال، وبريطانيا.

ويبدو أن المنجمين يتنبؤون بأشياء تتفق وطبيعة التوجهات السياسية؛ فقالوا: إن عام 1987م سيشهد انهيار كوبا ونيكاراغوا بعد وفاة «كاسترو»، ولم يحدث ذلك؛ فـ«كاسترو» مات عام 2016م.

وكان السياسيون ولا يزالون يستخدمون المنجمين لتنفيذ مخططاتهم؛ ولذلك فإن كثيراً من هؤلاء المنجمين يُشترون من أجهزة السلطة، ويطلبون منهم أن يؤثروا على من يصدقهم من الزعماء، وكثيراً ما يكون لأكاذيبهم التي صنعها السياسيون المحنكون الأثر الكبير في تضليل الشعوب.

وقد اعترف عميل سابق لوكالة المخابرات الأمريكية أن «نكروما»، رئيس غانا، و«سوكارنو»، رئيس إندونيسيا، والزعيم الألباني «شيحو»، أمكن التأثير عليهم بنجاح من خلال خرائط للنجوم سربتها لهم وكالة المخابرات، وأنه أمكن للمنجمين إقناع «نكروما» بزيارة فيتنام حتى يكون بعيداً عندما يقع الانقلاب عليه بتخطيط المخابرات الأمريكية عام 1966م، ومن قبل استطاعت المخابرات البريطانية استخدام المنجمين لتدمير القوات الألمانية في النرويج والدنمارك في الحرب العالمية الثانية، وقد تضمنت نشرات «اسأل النجوم» التي وزعها العملاء البريطانيون معلومات مزورة عن أمراض مثل التيفوس، والدوسنتاريا، لتوقف الجنود الألمان عن الخدمة في الجبهة الروسية.

ورغم احتمال أن يكون التنجيم ضاراً لصناع القرار السياسي، أو يكون ببساطة خاطئاً، أو يؤدي إلى عدم ثقة ناخبيهم؛ فقد أثر التنجيم على السياسة في العديد من الحكومات، وعلى الرغم من اعتبار التنجيم غير علمي، فقد كان بمثابة أداة لصنع القرار السياسي في القرن العشرين، ولا يزال العديد من رؤساء الدول الشرقية يعتمدون على المنجمين، وهناك ثلاثة قادة سياسيين لحكومات حديثة اعتمدوا على المنجمين؛ فسيطروا على الجدول الزمني لرئاسة «ريغان» لمدة ثماني سنوات، ومارس أعضاء بارزون من النخبة الحاكمة في ألمانيا النازية وعلى رأسهم «هتلر» طقوساً غامضة واستأجروا منجمين، كما استخدمت «إنديرا غاندي» التنجيم.

تحذير الشريعة

يقول الله عز وجل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل: 65)، يخبر الله تعالى أنه المنفرد بعلم غيب السماوات والأرض، فهذه الغيوب ونحوها اختص الله سبحانه بعلمها، فلم يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك المحيط علمه بالسرائر والبواطن والخفايا؛ فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له عز وجل، ثم أخبر تعالى عن ضعف علم المكذبين بالآخرة، فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: وما يدرون ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: متى البعث والنشور والقيام من القبور؛ أي: فلذلك لم يستعدوا (تفسير السعدي).

لقد جاء الوعيد لمن يأتي مدعي علم الغيب؛ كالعرافين ونحوهم، وسؤالهم على وجه التعظيم لهم وتصديقهم؛ ففي الحديث الذي أخرجه مسلم، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»، والمراد أنه لا يحصل له ثواب أهل الرضا والإكرام.

وأخرج الحاكم بسند صحيح، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه فيما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»، والمنجم يدخل في اسم العراف أو هو في معناه، فإذا كانت هذه

حال السائل، فكيف بالمسؤول؟ فلا يصدق المسلم كاهناً ولا عرافاً ولا من يدَّعي شيئاً يخالف الكتاب والسُّنة وإجماع الأمة.

هذا من ناحية الشرع، أما من ناحية العقل فلنسأل المنجمين: لماذا لا تستطيعون التنبؤ بالأحداث المختلفة التي تصيبكم قبل وقوعها لتفاديها؟!

وفي المقابل، نختم بهذه الصورة الإيجابية في هذا الأمر؛ حيث زعم المنجمون أن الزمان لا يوافق فتح عمورية، وقالوا للمعتصم: إنهم يجدون في كتبهم أنها لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب، ونصحوه بعدم الخروج للقتال، ولكنه لم يعبأ بترهاتهم، وخرج متوكلاً على رب العالمين، وأكذب الله المنجمين، وأعز الله المؤمنين، وكان أبو تمام في صحبة المعتصم وشهد الوقعة عام 223هـ، وخلّد الفتح بقصيدته العصماء التي يسخر فيها من المنجمين:

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

المراجع

1 – شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، 1418هـ، ص518.

2 – عالم السحر والشعوذة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، 2002، ص292.

3 – التنجيم بين العلم والدين والخرافة، عماد مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1998، ص22.

4 – التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً، أحمد الشنتاوي، دار المعارف، مصر، 1959، ص84.

5–Astrology's Influence in Three Modern Governments. Master thesis. University of Colorado. 1998. p112.

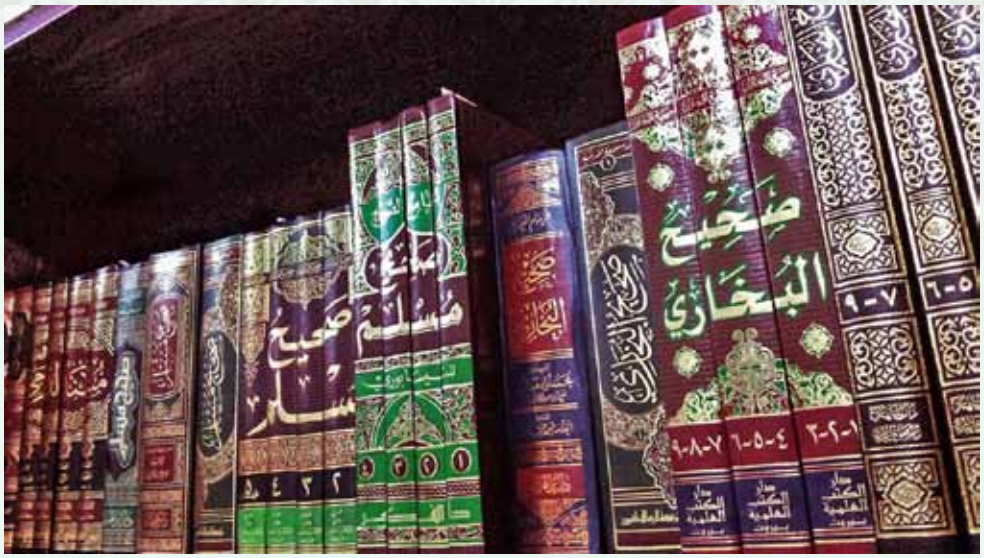

الشيخ جاسم بن محمد الجابر
أستاذ الفقه، عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام

هل نهى النبي ﷺ عن كتابة الحديث؟ وما توجيه ذلك؟

الحمد لله الذي أنزل على نبيه القرآن والحكمة، والصلاة والسلام على خير الرسل والأئمة، نبينا محمد الذي ما ترك خيراً إلا دلنا عليه، ولا شراً إلا حذرنا منه، وعلى آله وصحبه الذين حفظوا سُنته، ونقلوا حياته وسيرته، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

مما أثاره البعض في الآونة الأخيرة الاستدلال بكون النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة غير القرآن الكريم، محاولاً إلغاء السُّنة لكون تدوينها مخالفاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا استدلال باطل، وهي شبهة ليست جديدة ولا من ابتكار المروجين لها اليوم، وإنما هم يرددون دون وعي ما قاله المستشرقون الذين درسوا الإسلام بقصد الطعن فيه منذ عشرات السنين، من أمثال «جولدتسيهر»، و«دوزي»، وغيرهما، ومع ذلك نقول في الرد على ما ورد في السؤال ونبينه بما يلي:

أولاً: إن النهي عن كتابة الحديث حكم منسوخ، وذلك لأن تدوين الحديث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مر بمرحلتين:

1 - **مرحلة النهي والمنع:** وذلك حين نهى عن كتابة غير القرآن، وأمر من كتبوا غير القرآن بمحوه، وأصح ما ورد في هذا ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»، وكان سبب هذا النهي الخوف من اختلاط والتباس الحديث بالقرآن.

2 - **مرحلة الإذن بالكتابة:** وقد وردت عدة أحاديث تدل على إذنه صلى الله عليه وسلم بالكتابة، منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قام خطيباً فقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، يقَالُ لَهُ أَبُو شَاه، فقَالَ: اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّه، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «اكْتُبُوا لأَبِي شَاه»، والحديث في الصحيحين، ومنها أن ابن عمر كان يكتب كل ما يسمعه من النبي عليه الصلاة والسلام فنهته قريش، فلما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بذلك قال له وهو مشير إلى فمه: «اكْتُبْ فوَالَّذي نفْسي بيَدِه مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

ثانياً: يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: 44)، فأي ذكر أنزله الله لتبيين ما أنزله إن لم يكن هو الحديث؟ وكونه تبياناً للقرآن يقتضي حفظه كالقرآن، ومن وسائل حفظه كتابته وتدوينه.

ثالثاً: إن القرآن تضمن الأحكام بصفة مجملة، كالصلاة والزكاة والحج وغيرها، وإنما ورد تفصيلها في السُّنة، فلو لم تُدون السُّنة هل كانوا يقدرون على أداء عبادة من القرآن فقط؟

رابعاً: يتضمن استدلاله بهذا اعترافاً صريحاً بحجية السُّنة، ويلزم من هذا اعترافه برواة السُّنة وناقلي الحديث ومناهجهم؛ إذ إن القائل لم يجالس النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما يقول في قرن متأخر جداً، فكيف ثبت عنده هذا النهي.

خامساً: إن القدح في الحديث بكونه لم يدوّن في الدواوين إلا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام يمكن تنزيله على القرآن أيضاً، حيث لم يجمع القرآن إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما كان مكتوباً مفرقاً عند جملة من الصحابة، ثم جمعه أبو بكر ثم عثمان رضي الله عنهم، وتناقله الرواة المقرئون حتى وصلنا اليوم، وكذلك الحديث، تناقله الرواة وما زالوا إلى اليوم، فما الذي يمنعهم من أن يطعنوا في القرآن بما طعنوا به في السُّنة؟

سادساً: المنطق يدعو من يريد الحقيقة إلى دراسة علوم السُّنة المتعلقة بالرواية حتى يتصوروا ما الذي يتكلمون عنه، وهذا خير لهم من التمترس وراء شبهة النهي عن كتابة الحديث؛ فقد تبين أن الرد عليها بيِّن واضح بفضل الله تعالى، فإذا كانوا يفهمون الحياد العلمي، فليتعرفوا على علم الإسناد وفق معايير النقد العلمي، فسيجدون أن الإسناد تراث حضاري تحسدنا الأمم عليه، وهو ما حفظ الله تعالى به هذا الدين، وما حرفت ديانات المستشرقين إلا حينما انقطعت

أسانيدهم، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: 109).

شبه زائفة

وننبه بأن مثل هذه الشُّبه تنشط اليوم على يد طائفة من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، لا يعرف لها رأس، ولا يصح لها أساس، يطعنون في الدين ومصادره، مذهبهم الشك والتشكيك، رضعوا من ثدي العلمنة والزندقة والانحراف الفكري والأخلاقي، فيهم فرق وأشكال، منهم شرذمة تزعم أن مصدر الدين هو القرآن، وأن هذه الأحاديث ليست مضمونة الصحة، واستدلوا على هذا الادعاء بعدة أدلة تُبين عن جهلهم وعدم اطلاعهم، وعن ضيق مداركهم، وقصر أبصارهم، يهرفون بما لا يعرفون، ولو درسوا علم مصطلح الحديث وحده لقضوا من ذلك عجباً، ولَبُهِتوا من الدقة والإحكام التي يتميز بها هذا العلم في غربلة الأحاديث، ولكفينا ضجيجهم.

والحقيقة أن القوم لا يقصدون السُّنة فحسب، بل إنهم يبدؤون التشكيك في السُّنة، مرة في الآحاد، ومرة في بعض الروايات التي يزعمونها مخالفة للعقل، ثم ينطلقون للتشكيك في القرآن، فالبعض منهم ملحدون يتسترون وراء النقاشات العلمية لبعض القضايا، ويبثون تلك الأسئلة في بعض مساحات التواصل الاجتماعي بقصد التشكيك وإرباك الشباب، وحينما يواجهون من بعض المتخصصين في علوم الشريعة، فإنهم يلجؤون إلى أساليب الاستفزاز والسب والشتم مما يدل على إفلاسهم العلمي والأخلاقي.

وفي الختام، إن سليم العقل وصافي الفطرة لا يستدل بشيء ينكره ولا يعترف به، وإنما يقع في مثل هذا من تلاعبت بهم الأهواء، وغلبت عليهم الشهوات، فالقائل: إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة الحديث أراد نكران الاحتجاج بالحديث والعمل به فوقع في الذي كان يريد نكرانه، حيث استدل بالحديث من حيث أراد إنكاره.

والحق الحق إنما هي أهواء طغت، وعقول انتكست، وفطرة فسدت، فاللهم ارزقنا الثبات على دينك وسُنة نبيك، آمين.

والله أعلم.■

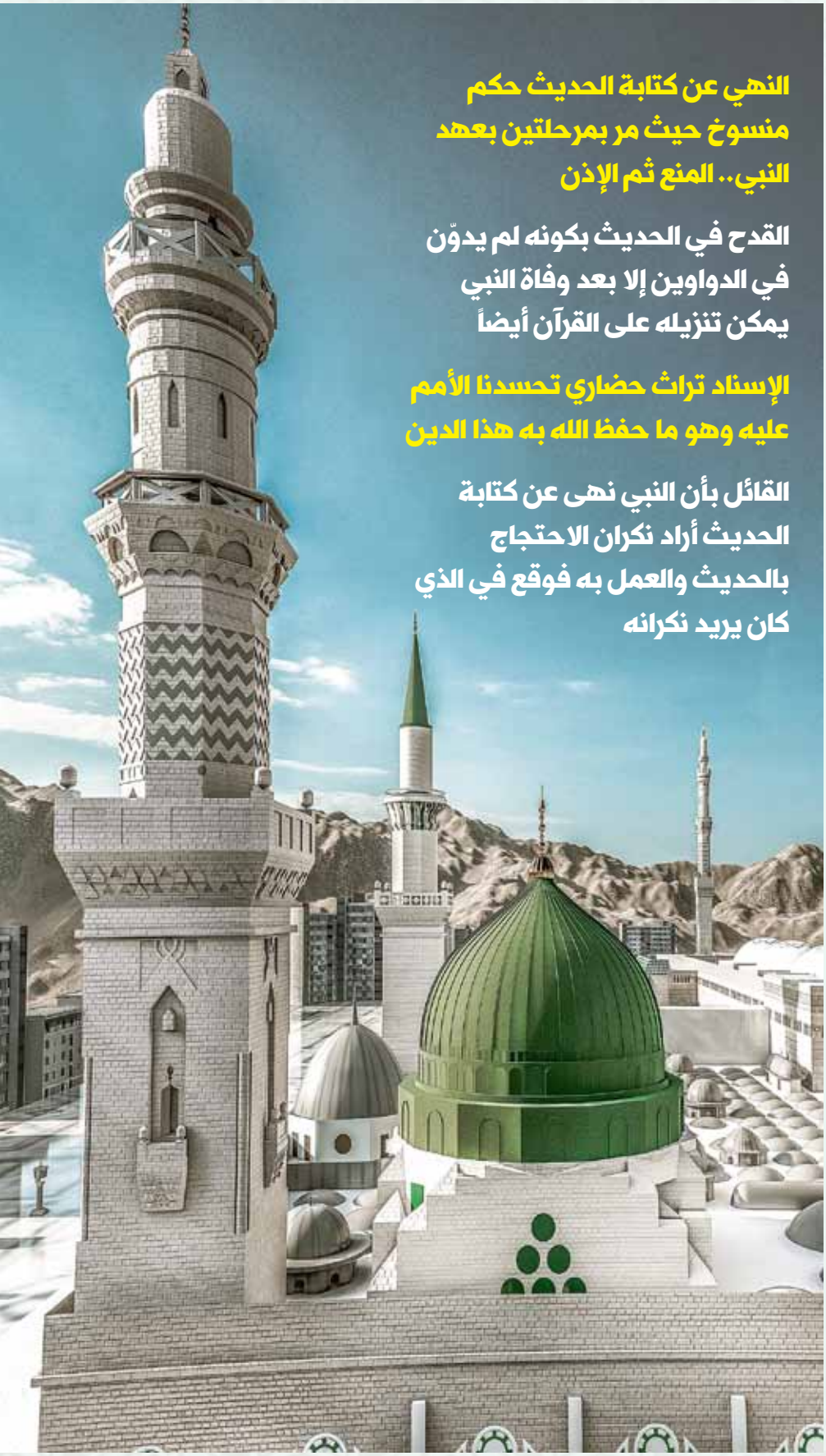

النهي عن كتابة الحديث حكم منسوخ حيث مر بمرحلتين بعهد النبي.. المنع ثم الإذن

القدح في الحديث بكونه لم يدوّن في الدواوين إلا بعد وفاة النبي يمكن تنزيله على القرآن أيضاً

الإسناد تراث حضاري تحسدنا الأمم عليه وهو ما حفظ الله به هذا الدين

القائل بأن النبي نهى عن كتابة الحديث أراد نكران الاحتجاج بالحديث والعمل به فوقع في الذي كان يريد نكرانه

مقال

معطيات المدخل السفني..

محاولة للفهم (2)

د. سيف الدين عبدالفتاح

أستاذ العلوم السياسية

إذا كان ما تحدثنا عنه في الحلقة الماضية من هذه السلسلة هو المثل طبيعةً وتوظيفاً؛ فماذا عن مَثَل «السفينة» الذي تضمنه حديث السفينة للنبي عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»[1].

الحديث إذن -بنصه القيّم ومشابهاته العميقة ومقايسته الدقيقة التي تشير إلى جملة من المعطيات والمفاهيم- يكوّن بحق منظومة رؤية متكاملة وشبكة من المواقف، والأحكام، والتقييمات، لا يمكن التغاضي عنها أو التوقف عن استكناه إمكانات التأصيل والتفعيل والتشغيل فيها؛ بلوغاً للمقصود المتعلق باستنباط جوهر معانيه، وعمق مغازيه، فضلاً عن بلوغ الغايات الاجتماعية، والتربوية، والحضارية، المتعلقة بحديث السفينة.

مفردات المَثَل النبوي ليست مجرد مفردات لغوية مصمتة، ولكنها مجموعة من الكلمات الحية يراد بها التأثير الضارب للمثل (والغرض من ضرب الأمثال)، واختير لفظ «الضرب له»؛ لأنه يأتي عند إرادة التأثير -على ما يقول الإمام محمد عبده- ويهيج الانفعال، كأن ضاربَ المثل يقرعُ به أذن السامع قرعاً، ينفذ أثره إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه[2]، فهو إثارة واستنهاض فكرة، وبيان وتدبر مغزى، هذا بعض ما أراده الإمام من قوله في ضرب المثل.

وأقول ما قال الرافعي عن البيان النبوي: «.. ثم تركت الكلام النبوي يتكلم في نفسي ويلهمني ما أفصح به عنه، فلكأني به يقول في صفة نفسه: إني أصنع أمة، وقد كنت أقرؤه وأنا أتمثله مرسلاً بتلك الفصاحة العالية من فم النبي صلى الله عليه وسلم.. يتكلم بكلام إنساني، وأعجب من ذلك أني كثيراً ما أقف عند الحديث الدقيق، أتعرف أسراره، فإذا هو يشرح لي ويهديني بهديه، ثم أحسه كأنما يقول لي ما يقول المعلم لتلميذه: أفهمت؟ فهو كلام كلما زدته فكراً زادك معنى، فهو معك على قدر ما أنت معه، إن وقفت على حدٍّ وقف، وإن مددت مدَّ، وما أديت به تأدّى، وليس فيه مما يجتلب له منها (أي الألفاظ) ويستكره على أغراضه (أي الكاتب)، إنما هو كلام قيل لتعبر به المعاني إلى حقائقها، ليس له إلا قوة أمرٍ نافذ لا يتخلف، وإن له مع ذلك نسقاً هادئاً هدوء اليقين، مبيناً بيان الحكمة، ليتوجه بها العالم كأنه منه مكان المحور، ولرأس الدنيا نظام أفكاره الصحيحة»[3].

وحتى لا يصرفنا تحليل الحديث -على أهميته- عن إمكانات تفعيله وتشغيله، فسنحاول أن نوضح معاني الحديث النبوي في مجموعة وشبكة من الإشارات الدالة في هذا المقام، يطول بنا المقام لو أردنا تقصيها وتفصيلها تحليلاً وتفسيراً من مداخل عدة وزوايا متنوعة.

إشارات دالة

في أولها: نحاول بيان الإمكانات المعرفية والعملية للسُّنة النبوية، بالإشارة إلى «فقه السفينة»، المستنبط من حديث السفينة، مرتبطاً بذلك الأصل المكين في الشريعة؛ ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي ثانيها: نرسم خريطة الفهم لمفردات هذا الحديث النبوي وشبكة علاقات الفهم التي يؤديها لنا على النحو التالي:

القوم، الاستهام، السفينة، الأدنى والأعلى وحديث الدرجات، المرور الارتفاقي، الحاجات الأساسية (الماء)، التفكير الأخرق والمخروق،

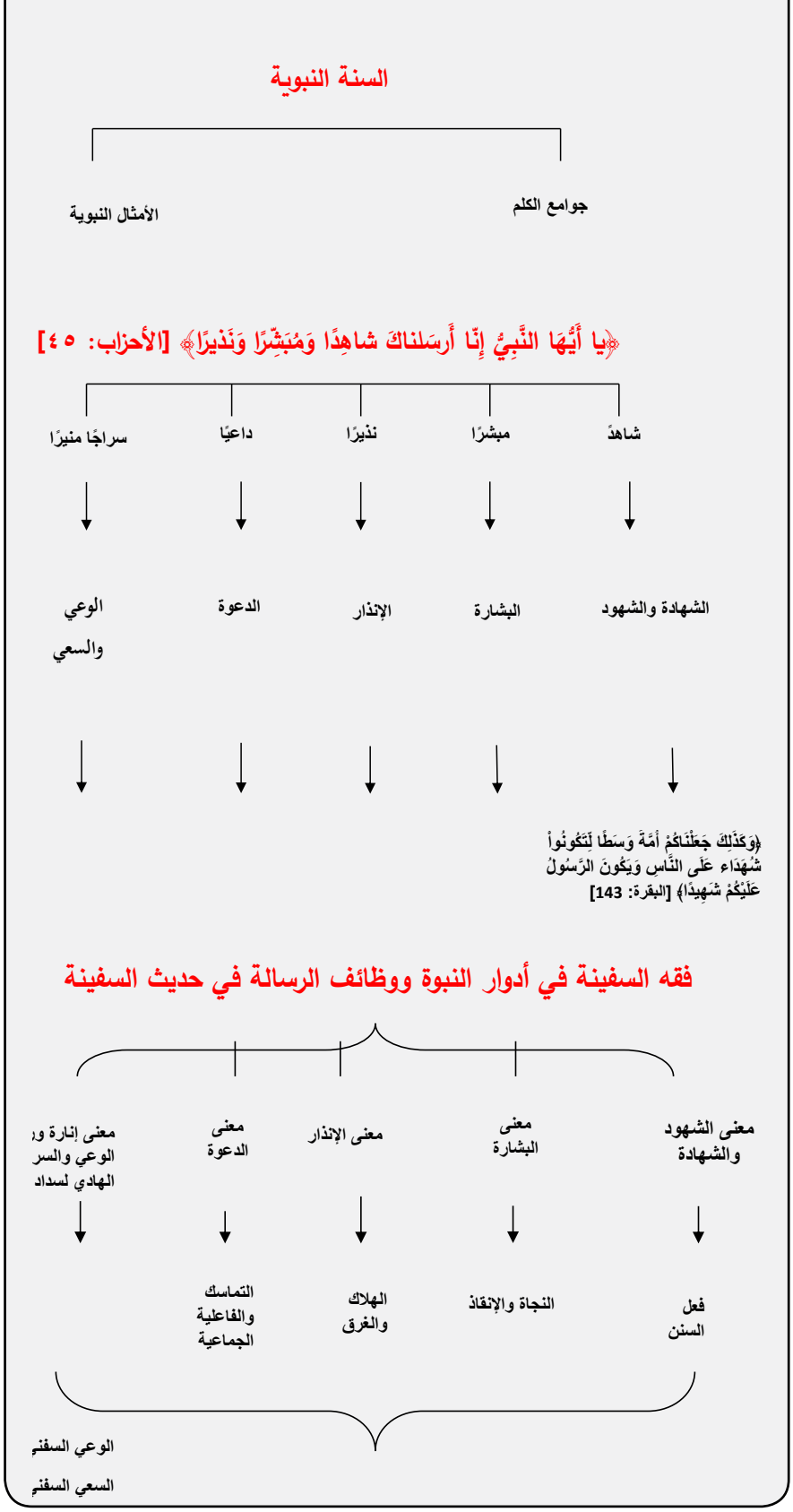

الرابطة السفنية تشير إلى مدخل السنن القاضية التي لا تحابي أحداً ولا تعطي إلا من وعى بها

قوانين التملك (موضعنا) وقوانين العاقبة، وَهُم انتفاء الإيذاء والغفلة عن السُّنن (ولم نؤذ من فوقنا)، ثقافة الخرق والهلاك، وثقافة التنبه والنجاة، متتبعين الأثر الكبير لكل هذه المفردات والعمليات التي ترتبط بها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كحركة أمة، وعملية مجتمعية، ذات امتدادات إنسانية وحضارية.

مفردات يؤديها الحديث ضمن شبكة تشير إلى تكافل مدخل السُّنن[4] في تفسير بعض ما يدلي به إلينا حديث السفينة، كما يشير الأمر إلى العمليات الواجبة في التفكير والتدبير والتسيير كعمليات لا يمكن التهاون بها أو التهوين منها؛ ومن هنا كان من المهم بعد رسم خريطة أفكار الحديث أن نشير إلى مغزى «الرابطة السفنية» على صعيد ثالث؛ بما تشير إليه من عمليات الفعل، والتفاعل، والتفعيل، والفاعلية، وتشير كذلك إلى مدخل السُّنن القاضية التي لا تحابي أحداً، ولا تعطي إلا من وعى بها، وبشروطها، وسعى لها سعيها، وكذلك مدخل المقاصد الكلية العامة الحافظة.

إن هذا الشكل الجامع لأدوار النبوة ووظائف الرسالة للنبي عليه الصلاة والسلام إنما يرتبط بهذا الحديث الجليل من جوامع الكلم، حينما يحددها الخطاب القرآني ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (الأحزاب: 45)؛ فتشكل هذه الأدوار والوظائف فقهاً متكاملاً من حديث السفينة في معنى السنن القاضية؛ شهوداً وشهادة، ومعنى البشارة؛ في فعل الإنقاذ والنجاة، ومعنى الإنذار من سوء العاقبة؛ من هلاك أو غرق، ومعاني الدعوة وآثارها؛ في التماسك والفاعلية الجماعية، والمعاني الواردة في إنارة ورشاد الوعي، والسراج الهادي لسداد السعي؛ فيتحقق المقصود من الوعي والسعي السفني.■

الهوامش

(1) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، (3/ 139) برقم (2493).

(2) في مفهوم ضرب المثل ورأي الإمام محمد عبده في ذلك: محمد جابر فياض العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، القاهرة، المركز العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1993م، ص30 وما بعدها.

(3) في كلام بديع يصف مصطفى صادق الرافعي البيان النبوي: مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، بيروت: المكتبة العصرية، 2002، ج3، ص5 وما بعدها

(4) في المدخل السنني انظر: سيف الدين عبدالفتاح، مدخل القيم إطار مرجعي في العلاقات الدولية في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ج2 مشروع العلاقات الدولية في الإسلام القاهرة، 1999، ص186 وما بعدها.

د. صلاح الخالدي..

رجل الدعوة والقرآن وصاحب سيد قطب

د. وصفي عاشور أبو زيد

أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

انعقد لساني عن الكلام، وكُبِلتْ يداي عن الكتابة حين سمعت خَبر وفاة العالم الجليل والداعية الرباني الكبير د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، الذي غادر دنيانا الفانية (مساء الجمعة 25 جمادى الآخرة 1443هـ/ 28 يناير 2022م) عن 74 عاماً، قضاها بالحكمة والموعظة الحسنة في خدمة التفسير وعلوم القرآن والدعوة إلى الله تعالى في المحافل المختلفة ووسائل الدعوة المعاصرة.

ولد د. صلاح عبدالفتاح الخالدي في مدينة جنين بفلسطين، في 18 المحرم 1367هـ/ 1 ديسمبر 1947م، وبدأ طلب العلم بحصوله على بعثة للأزهر سنة 1965م، وهناك أخذ الشيخ الثانوية الأزهرية، ثم دخل كلية الشريعة وتخرج فيها سنة 1970م، ثم درس الماجستير سنة 1977م في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكانت الرسالة التي قدمها بعنوان «سيد قطب والتصوير الفني في القرآن» سنة 1980م، كما كانت رسالته للدكتوراه بعنوان «في ظلال القرآن- دراسة وتقويم»، وحصل الشيخ بها على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن سنة 1984م من الجامعة نفسها، ومن أبرز المشايخ الذين تتلمذ على يديهم الفقيد: الشيخ موسى السيد، أحد علماء فلسطين، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ عبدالحليم محمود، وغيرهم كثيرون، وعمل الشيخ في العديد من الجامعات أستاذاً ومعلماً ومربياً، وكان عضو هيئة علماء فلسطين.

مؤلفاته ومحاور مشروعه القرآني:

ترك الخالدي تراثاً عظيماً قارب خمسين كتاباً، جلها في خدمة القرآن الكريم وتفسيره وبلاغته واستنزال هداياته من خلال دراسة موضوعات متنوعة في ضوئه وتحت رايته، وترسيخ العقيدة القرآنية في قلوب المسلمين، والدفاع عنه ضد شبهات المنحرفين ومطاعن أعدائه ومنتقديه، وخدمة الجهاد وقضية فلسطين، ويمكننا أن نوزع منجز الخالدي على المحاور الثمانية الآتية:

الأول: سيد قطب وخدمة تفسيره:

تأثر الخالدي تأثراً كبيراً بالشيخ الأستاذ سيد قطب، رحمهما الله تعالى، وكانت صلته بالشيخ صلة محبة وتلمذة، أما الصلة الشخصية فلم يكن بين الشيخ صلاح والشيخ سيد قطب صلة شخصية، إنما تتلمذ الشيخ على كتبه، حاشا أخاه محمد قطب الذي صاحبه وناقشه في رسالته للماجستير، كان يحيل عليه في كل ما يتعلق بسيد قطب، فكان أ. محمد، رحمه الله تعالى، إذا سئل عن شيء يتعلق بسيد قطب يقول للناس: «اسألوا الشيخ صلاح الخالدي؛ فهو أعلم به مني»!

ومن الكتب التي ألفها عن قطب وتراثه التفسيري والفكري: «سيد قطب الشهيد الحي»، «نظرية التصوير الفني عند سيد قطب» (ماجستير)، «مدخل إلى ظلال القرآن» (دكتوراه)، «المنهج الحركي في ظلال القرآن»، «في ظلال القرآن في الميزان»، «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد»، «سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد»، «الحرب الأمريكية بمنظار سيد قطب»، «أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب»، «بين الإسلام الرباني والإسلام الأمريكاني».

والحق أن بدايات الانشغال العلمي للخالدي بقطب كانت مفتاح حياته العلمية ومبعث العطاء التصنيفي والدعوي للخالدي، وهذا هو مفتاح شخصيته التأليفية إن أردنا البحث عن هذا المفتاح، فقد كان لـ«الظلال» وعالم قطب الرحيب أثر كبير في منجز الخالدي القرآني والتفسيري والدعوي فيما كتبه من كتب، وقدمه من خطب، ودبجه من مقالات، وألقاه من محاضرات، ودفعه من شبهات، حتى إنه في غالب كتبه، ومنها كتاباه الكبيران «مع قصص السابقين في القرآن»، و«القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث»، كان يورد في ختام كل قصة رأي قطب!

الثاني: التفسير الموضوعي:

قدم الخالدي في مجال التفسير الموضوعي مؤلفات تستحق الدراسة والتحليل، وكانت ثمرة لدراسته كتاب «في ظلال القرآن»، ولهذا نجد هذه اللفظة «ظلال» مُضمَّنة في عدد من عناوين كتبه، ومما نشره في مجال التفسير الموضوعي كتاب عن التفسير الموضوعي بوصفه علماً من علوم التفسير، وهو «التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق»، أما الدراسات الموضوعية فمنها: «الأتباع والمتبوعون في القرآن»، «عتاب الرسول في القرآن: تحليل وتوجيه»، «وعود القرآن بالتمكين للإسلام».

الثالث: التفسير وعلومه:

ولما كان د. الخالدي متخصصاً في التفسير وعلوم القرآن، فقد ضمَّن منجزه مؤلفات في التفسير وعلوم القرآن؛ تأليفاً وتهذيباً، ومن ذلك: «التفسير والتأويل في القرآن»، «تعريف الدارسين بمناهج المفسرين»، «تفسير الطبري تقريب وتهذيب»

(سبعة أجزاء)، وهذا الجانب من عطاء الشيخ -كبقية الجوانب- يستحق الدراسة والتحليل والتقويم.

وقد يدخل هنا كتابه عن التفسير الموضوعي بوصفه علماً من علوم القرآن، وهو البوابة الكبرى للتعامل النافع مع القرآن الكريم في واقعنا المعاصر.

الرابع: الإيمان في ظلال القرآن:

تحدث الخالدي حديثاً فياضاً شفافاً منيراً عن الإيمان أو العقيدة في ضوء القرآن، وضمَّن هذا المحور لطائف قرآنية وحقائق إيمانية، وثوابت تربوية للمسلم المعاصر، ومن ذلك كتبه: «في ظلال الإيمان»، «ثوابت للمسلم المعاصر»، «الخطة البراقة لذي النفس التواقة»، «الرسول المبلغ»، «القبسات السَّنية من شرح العقيدة الطحاوية».

الخامس: بيان القرآن وإعجازه ولطائفه:

في هذا المحور، يقدم الخالدي وجبة ثرية مشبعة للروح، ومهذبة للوجدان، ومرسِّخة للإيمان بربانية القرآن، ومؤسِّسة لمنهج التذوق للبلاغة القرآنية والتعامل السليم مع القرآن، ومما كتبه مما يندرج تحت هذا المحور: «مفاتيح للتعامل مع القرآن»، «البيان في إعجاز القرآن»، «لطائف قرآنية»، «هذا القرآن»، «إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني»، «الأعلام الأعجمية في القرآن: تحليل وتوجيه»، «وقفات مع بعض الآيات».

السادس: القصص القرآني والتاريخ الإسلامي:

ترك الخالدي إنتاجاً طيباً في مجال القصص القرآني، مستفيداً بدراساته القرآنية في تصنيف هذه الكتب وتبويبها وتحليلها، وبيان الفوائد الإيمانية والدروس الدعوية من خلال هذا القَصص.

ومما كتبه هنا: «مع قصص السابقين في القرآن» (ثلاثة أجزاء)، «القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث» (أربعة أجزاء)، «مواقف الأنبياء في القرآن.. تحليل وتوجيه»، «الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد»، «سعد بن أبي وقاص: المجاهد الفاتح»، «سيرة آدم.. دراسة تحليلية».

السابع: الجهاد واليهود وقضية فلسطين:

عاش الخالدي مسكوناً بحب فلسطين والدعوة لقضيتها والحديث حولها والدفاع عنها، وقد تنوع عطاؤه في هذا الجانب بين مؤلفات عن الجهاد، ودراسات عن اليهود واليهودية، سواء من خلال دراسة أسفار اليهود، أو بيان رؤية القرآن الكريم عنهم وعن فلسطين، ومن ذلك: «تهذيب فضائل الجهاد لابن النحاس»، «صور من جهاد الصحابة»، «جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم»، «سفر التكوين في ميزان القرآن» (جزآن)، «الشخصية اليهودية من خلال القرآن: تاريخ وسمات ومصير»، «حديث القرآن عن التوراة»، «إسرائيليات معاصرة»، «حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية».

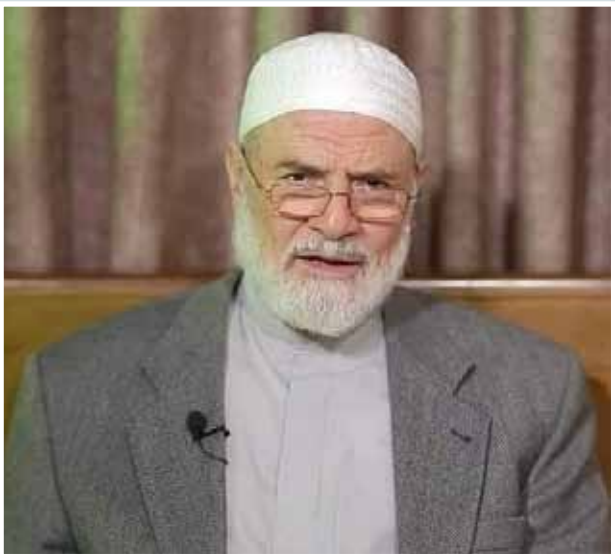

بدايات الانشغال العلمي للخالدي بقطب كانت مفتاح حياته العلمية ومبعث عطائه الدعوي

ترك إنتاجاً طيباً في القصص القرآني مستفيداً بدراساته القرآنية في تصنيف هذه الكتب

عاش مسكوناً بحب فلسطين والدعوة لقضيتها والحديث حولها والدفاع عنها

الثامن: الدفاع عن القرآن:

لا يكتمل مشروع من المشروعات حتى يبين الفكرة، ويقيم عليها الحجة، ويدفع عنها الشبهة، وقد قدم الخالدي في مشروعه القرآني والدعوي بياناً لفكرته، وأقام الحجج القرآنية الدامغة عليها، وها هو في هذا المحور يقدم ما يُكمل دائرة مشروعه في الدفاع عن القرآن وبيان حقائقه القاطعة ودحض أباطيل خصومه.

ومما كتبه في ذلك: «القرآن ونقض مطاعن الرهبان»، «الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات القرآنية في أصول الكافي»، «تهافت فرقان متنبئ الأمريكان أمام حقائق القرآن»، «تصويبات في فهم بعض الآيات».

وفاته:

أصيب الفقيد بوباء العصر «كورونا» الذي أفقدَنا عشرات العلماء الكبار، وقد ظل، رحمه الله تعالى، عالماً عاملاً، وداعية ربانياً، مرابطاً على ثغور القرآن وتفسيره وعلومه، وناشراً هداياته في الناس، ومدافعاً عن فلسطين وقضيتها حتى وافاه الأجل في التاريخ المذكور متأثراً بفيروس «كورونا»، وصلّت الجنازة عليه جماهيرُ غفيرةٌ من أهل الأردن وغيرها بعد صلاة العصر من اليوم التالي لوفاته (يوم السبت 26 جمادى الآخرة 1443هـ/ 29 يناير 2022م).

رحمه الله تعالى وغفر له، وأنزله منازل الأبرار، ومن الوفاء له العكوف على تراثه، ونشره بين الناس، ودراسته في رسائل ماجستير ودكتوراه.■

استعِذ بالله من هذه الثمانية

(الجزء الثاني)

العجز

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

كانت نفسه تدعوه إلى الراحة وتزين له التخلص من أي عمل يتطلب منه جداً وجهداً وقوة ونشاطاً؛ مما أدى إلى تهاونه في أداء الواجبات الأداء الكامل المطلوب منه، فكان كلما همَّ بفعل فيه نفعه وارتقاؤه تردد قبل البدء فيه تردداً كبيراً دون سبب، وإذا بدأه لم يلبث إلا قليلاً حتى يتركه.

بدأ بدروس العلم التي تحتاج صبراً ومثابرة وسهراً ومدارسة، وقوة نفس وعلو همة، لكنه سرعان ما استشعر صعوبة ذلك فانسحب من درسه ولم يكمل، وكلما عاهد نفسه على المداومة على نوافل العبادات والمحافظة على ورده اليومي من القرآن، وعلى أذكار الصباح والمساء، سرعان ما ينقض عهده إذ تفتر همته، ولقد نوى مراراً وتكراراً أن يمسك لسانه عن القيل والقال ولم يستطع الإمساك، وكم من مرة يحلف لزوجته أنه لن يسيء إليها بفعل أو قول، ويعدها بحسن معاشرتها، ثم لا يلبث أن يعود لسابق عهده مقصراً في حقها.. ألا يُعد ذلك منه عجزاً من نفسه يمنعه ويصده عن أداء ما ينفعه في دنياه وآخرته؟!

من أسوأ أنواعه عجز المسلم عن ترك الذنوب فيستمر فيها دون الشعور بخطرها

قد يحصل العجز من بعض الأزواج فيعجز عن رعاية أسرته بإهمال إصلاحها بالمعروف

لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلم أن يستعيذ بالله تعالى من العجز والكسل، قائلاً: «وأعوذ بك من العجز والكسل»، ونهى عن العجز بلا سبب، وجعل ذلك ضعفاً، وقال: «.. واستعن بالله ولا تعجز» (رواه مسلم).

والعجز قد يكون بغير إرادة الإنسان ولا يستطيع أن يدفعه، كالعجز بسبب مرض أو شيخوخة أو إكراه، وهذا له عذره ولا يكلفه الله تعالى ما لا يطيق، أما إن كان العجز دون عذر، ومتلازماً مع الكسل أو يؤدي إليه، فعلى العبد أن يتقوَّى بالله تعالى ويطلب منه العون والقوة التي يصير بها ذا همة وسعي، ويأخذ بأسباب ذلك لينبذ عجزه، وهذا النوع من العجز هو عجز النفس لا الجسد، ويتمثل في تدني الهمة وضعف العزيمة، وله صور متعددة في حياة الإنسان، وبه يتضرر حاله ولا يستقيم.

من صور عجز النفس:

- العجز الذي يؤخر عن طاعة الله تعالى: وللعجز صور مختلفة، فهناك عجز يؤخر عن طاعة الله سبحانه، يجعل العبد يستثقل العبادات ولا يكثر منها، ويظهر عجزه في ثنايا العمل حين يقصِّر فيه وهو قادر أن يتقنه، ويحصل منه التسويف والتأجيل دون عذر له، وهنا يجب على المسلم أن ينتبه ويتدارك نفسه بالعلاج، فيسارع بتجديد إيمانه والتخلص من هذا الداء ويتصبر على العبادة حتى يألفها ويتلذذها، كي لا يؤدي به عجزه إلى الوقوع في معصية الله تعالى، وقد قال ابن القيم: «وأصل المعاصي كلها العجز، فإن العبد يعجز عن أسباب أعمال الطاعات، وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي، وتحول بينه وبينها، فيقع في المعاصي» (زاد المعاد)؛ فإذا وقع في المعصية صار تركه لها يحتاج

عزيمة وإرادة لا عجزاً وضعفاً.

- العجز عن ترك المعاصي: ومن أسوأ العجز أن يعجز المسلم عن ترك الذنوب والإقلاع عن المعاصي، فيستمر فيها دون الشعور بخطرها، فإن حصل ذلك فعليه أن يسأل الله عز وجل أن يتوب عليه، وليسارع بالإقلاع عن معصيته والتوبة منها والندم على فوات الوقت فيها، وليكثر من الاستغفار، وليبشر التائب حينئذ بتوبة الله تعالى عليه وتمام النعمة والمنة وقد آمنه من العذاب في الآخرة، قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (الفرقان: 70)، وعليه أن يستبدل بصحبته السيئة صحبةً صالحة، ويتحلى بالهمة العالية، ويتجمل بالصبر عن المعاصي، ويكثر من ذكر الموت، وأن يتذكر الجنة ونعيمها، ليتعلق قلبه بالمساجد، ويصاحب القرآن الكريم، وكل ذلك مما يقوِّي النفس ويزكيها ويعينها على الثبات.

- العجز في أداء حقوق العباد: ومن العجز الذي لا يليق بالمسلم العجز عن أداء حقوق العباد أو التقصير فيها وتضييعها، ومن آكد هذه الحقوق ما يحصل به استقرار الأسرة التي هي اللبنة الأولى في أي مجتمع، ومن هنا وجب على كل فرد من أفراد الأسرة معرفة ما عليه تجاه أسرته؛ فقد يحصل العجز من بعض الأزواج حين يعجز عن رعاية أسرته فيهمل إصلاحها بالمعروف وقد جعله الله قواماً عليها بالحفظ والصيانة والتربية والرعاية والنفقة والتعليم، والمودة والرحمة، لكنه يعجز عن القيام ببعض ذلك أو كله فلا تستقيم حياة الأسرة، وهذا يتطلب منه أن يراجع نفسه ويعرف أهمية دوره في إدارة أسرته والارتقاء بها إيمانياً وتربوياً وصحياً واجتماعياً لتصلح وتسعد.

وفي المقابل، قد تهمل المرأة ما عليها من واجبات تجاه زوجها وأولادها وأسرتها وتقصر فيها دون عذر يمنعها من ذلك، بل عجزاً في نفسها أمام أمور أخرى تلهيها وتشغل بها عن واجبها نحوهم.

- ومن صور العجز أن يعجز المسلم عن طلب العلم الذي ينفعه في دينه ودنياه ويرضى بالقليل منه ولا يستكثر؛ فالهمة العالية في التعلم مطلوبة، في كافة التخصصات النافعة التي تحتاجها الأمة لترقى وتنهض.

ومن العجز أن يضعف المسلم أمام العادات الضارة والسيئة، فلا يتخلص منها كشرب الدخان والقات والشيشة..

ومن عجز النفس أن تخلع المسلمة حجابها وتكشف جسدها، وتلبس ما ضاق من الثياب، وتظهر زينتها التي أمرها الله تعالى بإخفائها، خوفاً من كلام الناس ونظراتهم أو اتباعاً لهواها.

ومن العجز عدم التخلص من الألفاظ البذيئة والأخلاق السيئة..

ومن العجز أن يخضع المسلم للعجز وينكسر معه، ولا يحاول التغلب عليه والتخلص منه، رغم أن هذا ليس بالأمر المحال، فكم من أناس ابتلاهم الله تعالى بعجز بدني لكنهم لم يستسلموا؛ فكان منهم الحُفاظ والعلماء والبلغاء.

من العجز أن يخضع المسلم له وينكسر معه ولا يحاول التغلب عليه والتخلص منه

كم من أناس ابتلاهم الله بعجز بدني لكنهم لم يستسلموا فكان منهم الحُفاظ والعلماء والبلغاء

لا تعجز:

ولعجز النفس أسباب يجب تجنبها والتخلص منها، ومن ذلك:

– اتباع هوى النفس، والتمني دون عمل، فالنفس تميل إلى الدعة والراحة، والهدوء والسكون، وهذا إن كان غير محمود في أمور الدنيا ففي العمل للآخرة من باب أولى، ولا سيما إن كان في مقدور العبد أن يعمل، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» (سنن الترمذي، وحسنه)، قال ابن القيم: «وَالْكَيْسُ: هو مباشرة الأسباب التي ربط الله تعالى بها مسبباتها النافعة للعبد في معاشه ومعاده، فهذه تفتح عمل الخير، وأما العجز، فإنه يفتح عمل الشيطان، فإنه إذا عجز عما ينفعه، وصار إلى الأماني الباطلة بقوله: لو كان كذا وكذا، ولو فعلت كذا، يفتح عليه عمل الشيطان، فإن بابه العجز والكسل، ولهذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منهما، وهما مفتاح كل شر» (زاد المعاد).

وقد يكون سبب العجز الغفلة، وعلاج ذلك الذكر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أيعجز أحدكم أن يكسب، كل يوم ألف حسنة؟»، فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة» (رواه مسلم)، وقال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟»، قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» (رواه مسلم)، كما عدَّ الغفلة عن الدعاء من العجز فقال: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَن عَجَزَ عَن الدعاءِ» (السلسلة الصحيحة).

فليأخذ المسلم بأسباب علو الهمة وقوة النفس، وليتخلص من العجز إذا شعر به، ويجتنب أسباب الوقوع فيه حتى لا يورثه الكسل والتقصير في عمله وواجباته.■

وقعتُ في هاوية الشذوذ.. وأبحث عن حبل النجاة

د. يحيى عثمان

استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء الكويتي سابقاً
y3thman1@hotmail.com

أستاذي الفاضل، السلام عليكم، أكتب إليكم بعد أن زلت قدمي وهويت إلى قاع الرذيلة، وحاولت الخروج وفشلت، وكان الهروب من كل الدنيا هو الحل بعد أن فقدت نفسي بل واحتقرت ذاتي.

كان لي زوجة وأولاد وشركتي الخاصة وكل ما يتمناه رجل في منتصف الثلاثينيات، وكنت محافظاً على الصلاة، كانت تربطني بزميل دراسة علاقة قوية جداً رغم عدم التزامه، وكنت كثيراً ما أحثه على الانتظام في الصلاة، ورغم زواجه فإنه كان يتابع المواقع الإباحية، وكان يبرر لي ذلك بأنه فتر من زوجته التي لا تعتني بنفسها، وهذا يستثيره فيمكنه من لقائها، وأنه يتعرف على فنون جديدة تسعده أكثر مع زوجته.

كان أحياناً يرسل لي بعض الفيديوهات، وعادة ما كنت ألغيها، لكن مرة للأسف ضعفت وشاهدت بحجة التعلم، فتعلقت بالأمر، وأصبحت أنتظر رسائله المسمومة بشغف، وكنت أتعمد مشاهدتها في غفلة من زوجتي قبل اللقاء، وتحولت من عادة إلى إدمان ولم أعد أستطيع الاقتراب من زوجتي إلا بتخيل ما كنت أراه، ولم أعد أعتمد على ما يرسله فأخذت المبادرة وأصبح لي عالمي الخاص.

كانت إحدى رسائله تتضمن اللقاء غير الشرعي بالمرأة (الجماع في الدبر)، فلم أتابع الفيديو واستنكرت عليه ذلك، وقال: إنه يفعل ذلك مع زوجته، من باب التغيير.. فضعفت نفسي وتابعت الفيديو وحاولت مع زوجتي فصُعقت، فأفهمتها أنه خطأ غير مقصود، ولمتها كيف تظن بي ذلك؟ فاعتذرت لي! ولكنني للأسف تابعت الفيديوهات القذرة، وكنت أتوق للتجربة.

بمتابعتي لهذه المواقع، أصبحت أكثر وقاحة فلم تعد العلاقة الطبيعية تستهويني، وأصبحت أتابع مواقع الشذوذ رجالاً ونساء، بعد أن كنت أستقذر ذلك، ثم تأثرت علاقتي بزوجتي، فكنت أتعمد لقاءها في الظلام لأعيش مع أوهامي، من لقاءات طبيعية أو شاذة، حتى لم تعد زوجتي تثيرني مهما فعلتْ، وكان المحرك الوحيد ما أستحضره في خيالي وبعضها شاذ.

ليلة السقوط:

سافرت زوجتي مع الأولاد لمرض والدها الذي طال، ومع إدماني ازدادت معاناة الحرمان، وفي ليلة السقوط دعاني صديق الشؤم لمشاهدة بعض الأفلام ثلاثية الأبعاد، وكان يعيش بمفرده لخلاف مع زوجته، ورغم أنها كانت تتضمن علاقات طبيعية، فإننا فضلنا الشاذ منها، حيث لم تعد العلاقات الطبيعية ذات تأثير لكثرة ما شاهدناه منها، ووقعت الكارثة وهوينا معاً نتبادل الأدوار، لم أصدق ما حدث، وكيف لي أن.. وطلبت من صديقي ألا نفعل ذلك مرة ثانية، عدت إلى بيتي، وقررت ألا أشاهد هذه القاذورات ثانية، وفي المساء إذا بي أعود، واتصل بي صديقي والتقينا! قلّ الندم حتى تلاشى، اتصلت بي زوجتي حتى أذهب لأحضرها والأولاد فاعتذرت لها لانشغالي، حتى شركتي أهملتها، فلم أعد أستطع مواجهة أحد، وكأن الجميع يعلم جرمي، ولكنني كنت ما زلت مستمراً، ومع كل لقاء يزداد احتقاري لذاتي.

قرار الانتحار:

قابلني إمام المسجد الذي كنت أصلي به قبل انقطاعي، وهو شيخ مسن وقابلني بحرارة بالغة، وأخبرني أنه حاول أن يتصل ليطمئن عليّ، وأنه ظن أني مسافر، وتعللت بكثرة الأعباء، فنصحني ألا تبرر لي يا ولدي وتذكر: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ (الإسراء: 14)، بأن طريق المسجد هو طريق الله وصحبة أهل المسجد تجنبك أصدقاء السوء، وقال: «أنا منتظرك لصلاة العشاء».

ماذا يعلم عني حتى ينصحني بتلك النصيحة؟ وتذكرت ما كنت عليه وما

أصبحت به، وكيف ألبي دعوة الشيخ؟ وكيف أقف بين المصلين وما أنا عليه من وزر؟ وكيف لو علمت زوجتي وأهلي؟ فقررت الانتحار.

دخلت صيدلية لأشتري ما ينهي مأساتي، وكانت إحدى الآيات المعلقة: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: 53)، وكأنني أول مرة أقرؤها، وتسمرتُ مكاني، ووجدتني أرددها وانهرت باكياً وعدت إلى بيتي، توضأت وهرعت إلى المسجد، تائباً.

وسؤالي الآن: هل لي من علاج حتى أعود طبيعياً مع زوجتي؟ وكيف أهرب من الصور القذرة التي تلاحقني؟ ودعني أصارحك كيف أتغلب على رغباتي الشاذة؟

أنا قررت إن لم أستطع التوبة والعلاج فسأنتحر؛ لأن الله تعالى أرحم بي من أهلي لو افتضح أمري.

التحليل:

لا شك أن متابعة المواقع القذرة يعوّد النفس على ألفة ما تعرضه من موبقات؛ فيقل التأثر بالعلاقات الطبيعية، فيتابع الشاذ منها، فتطمس الفطرة وتألفه النفس، ومع استمرار المتابعة واللهث على الجديد ويزداد الانحدار والولوج في الوحل؛ حيث يتراكم ما يتم مشاهدته في الذاكرة، التي تنبعث فيرفضها العقل الواعي إن كان به بقية من قيم، ولكن في وقت عمل الأشياء الروتينية التي لا تحتاج إلى تركيز يتناولها العقل اللاواعي، ويتخيل فعلها ويلح بها على العقل الواعي ويقل رفضها وقد يقع فيها.

أخي الكريم:

من المؤكد أن الشيطان لن يتركك تخرج من سلطانه، وسيوحي لأوليائه من يبرر ويعزز الخطيئة، ويقول لك: إن الغرب المتحضر بالعلم أثبت أنك غير مسؤول عن هذا السلوك، وأن الأمر يتعلق بالجينات، وبذلك فأنت إنسان طبيعي والعيب في المجتمعات المتخلفة.

ولكن هذا هراء؛ فالعلم أثبت أنه سلوك اختياري ولا علاقة له بالجينات به[1]، فإن فشل في غوايتك فسيحاول تيئيسك من عفو الرحمن وكيف تأمل العفو وقد فعلت وفعلت؟ ولكن تذكر: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: 156)، إن من الذنوب العظيمة استكثار الذنب عن عفو الرحمن، لأنه سوء ظن بعظمة الله، وهو القائل سبحانه: ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: 87)، بل ويزيد الله من فضله على التائب فيبدل سيئاته حسنات: (إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً) (الفرقان: 70).

من الذنوب العظيمة استكثار الذنب عن عفو الرحمن لأنه سوء ظن بعظمة الله تعالى

سلوكياتنا انعكاس عما نتصوره عن أنفسنا حيث تؤدي الصورة الذهنية عن الذات الدور الرئيس في توجيه تصرفاتنا

لذا عليك:

1 - أحسن الظن بالله تعالى والحياة في معيته:

«أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي» (رواه البخاري)، فأحسن الظن بالله سبحانه يقيناً وتعبداً ونجاة، وحتى يكون الله تعالى معك داوم على الذكر ليمدك الله بفيض من حوله وقوته، واستعذ به ولُذ بحمايته تأمن نفساً وبدناً.

2 - أحسن الظن بنفسك:

ثق أنك أقوى من كل شياطين الإنس والجن إذا لذت بالله تعالى؛ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: 42)، وأنت صاحب القرار، وقد اتبعت الغاوين فكنت تحت سلطان الشيطان، وذقت مرارة ذل المعصية، ولكن الله تعالى وفقك لعلمه بصدق توبتك، فقررت أن تلوذ بمعية الله عز وجل بمحض إرادتك؛ فداوم على النوافل حتى يحبك الله تعالى، كما قال في الحديث القدسي: «وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ..».

3 - البعد عن بيئة المعصية:

- اقطع صلتك نهائياً بشيطان الإنس سبب الخطيئة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

- إلغاء شريحة الهاتف الحالية، وإلغاء كل الإشعارات على كل أجهزة الإنترنت، وتعاقد مع شركة إنترنت جديدة؛ لأن المواقع القذرة تسجل «المميز» الإلكتروني لأجهزتك، وتظل تمطرك بقاذوراتها، بل وتتيح العناوين الإلكترونية لكل المتصفحين حتى يتواصل الفاسدون معاً.

4 - أحضر زوجتك فوراً، ورتب لرحلة عمرة طويلة بقدر ما تستطيع.

5 - احرص على إعادة ترتيب نشاطاتك اليومية؛ بحيث تكون مشغولاً بصفة مستمرة سواء بالعبادة أو العمل أو مع زوجك أو صحبة طيبة أو المشاركة في الأعمال الخيرية.. فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

وسأتناول أسئلتك فيما يلي:

- هل لي من علاج حتى أعود طبيعياً مع زوجتي؟

إن قرارك بالتوبة هو روح العلاج، ثم عليك: استعادة الصورة الذهنية الطبيعية عن ذاتك، وبث الرسائل الإيجابية عن نفسك، وتذكر مواقفك وسلوكياتك الطبيعية، وثق في توفيق الله تعالى لك؛ فسلوكياتنا انعكاس وتعبير عما نتصوره عن أنفسنا، حيث تؤدي الصورة الذهنية عن الذات الدور الرئيس في توجيه تصرفاتنا، ومن الأمثلة على ذلك ما قالته هند بنت عتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعة النساء: «وهل تزني الحرة؟!»، فاستنكار هند أن تزني الحرة من منطلق تصورها عن ذاتها بأنها حرة قوية مختارة فلا تزني، وهذا يحول بينها وبين سلوك الزنى؛ فالصورة الذهنية تعتبر أحد أهم موجهات السلوك بصورة لا إرادية بفعل تلك الصورة بالعقل الباطن، لذا يجب عليك إعادة صياغة تصوراتك عن ذاتك بالشكل الذي يساعدك بعد الخوف من الله تعالى على تقويم سلوكك من خلال يا يلي:

- اعقد مقارنة بين سلوكياتك في فترة الهداية وكبوة الغواية، وتذكر اعتزازك بذاتك وتقززك من انحرافاتك، وقم واسجد لله سبحانه على توفيقك للهداية، وعزز قيمتك لنفسك بقرارك بالعودة لله عز وجل.

- كن حذراً من الغفلة؛ فتتسرب إلى ذهنك الصور السلبية لممارساتك فتستثير غرائز الشيطان، وعلاج ذلك أن تطبع في كل مكان يمكن أن تقع عليه عينك «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»، وأمعن النظر في فضل الله عليك وخر لله ساجداً.

العلم أثبت أن الشذوذ سلوك اختياري ولا علاقة له بالجينات ويمكن الإقلاع عنه والتوبة

العلاقة الخاصة:

- أخبر زوجتك أنك تواجه بعض المشكلات التي أثرت على مزاجك ولا تريد أن تعكر صفوها، وتحتاج أن تساعدك في اللقاء.

- حاول بعد رحلة العمرة أن تقضيا وقتاً بالريف أو منطقة طبيعية.

- غيِّر من ديكورات حجرة النوم.

- أهدِ زوجتك مجموعة من الملابس الخاصة التي تعجبك.

- حثها على أن تعتني بنفسها.

- احرص على لقائها في الضوء وإن كان خافتاً.

- اطلب منها أن تعبر عن شوقها وأن تتفاعل معك بكل الوسائل.

- لا تتعجل اللقاء، حتى تستشعر تفاعلك، ولا تضع نفسك تحت ضغط حتمية اللقاء، ودع الأمر يسير طبيعياً دون توجس أو ضغط؛ فأنت لست في امتحان؛ لأن أي توتر نفسي سيؤثر عليك سلباً.

- احرص وزوجتك على أن تظلا على تواصل ولو من خلال الرسائل البصرية.

- احذر أن تحبط؛ فقد تحتاج بعض الوقت حتى تستعيد عافيتك النفسية، ويتوقف ذلك على توفيق الله تعالى لك لما بذلته من أسباب؛ فاستعن بالله واصبر وتحلَّ بالهدوء.

- اغمر زوجتك عاطفة، وشجعها على التعبير عن عواطفها لك، فهذا يزيد من انجذابك لها ويقويك -بعد توفيق الله سبحانه- على التغلب على غمز الشيطان ويطمس الصور القذرة في مخيلتك.

- لا تحمل هم زوجتك وحرمانها؛ فالارتواء العاطفي وحسن المعشر وأن تطمئن عليك لديها أهم من العلاقة الخاصة.

- لا حرج أن تستشير طبيباً بحجة أنك تعاني من ضغوط العمل، التي أثرت على علاقتك بزوجتك، وتحتاج إلى ما ينشطك مؤقتاً، ولكن احذر من المداومة حتى لا تتعود على ذلك.■

الهامش

(1) يمكن الرجوع إلى 3 مقالات للكاتب بموقع مجلة «المجتمع» بعنوان «كيف أحمي أولادي من الشذوذ؟» (نشرت عام 2017م)، أثبت فيها بالمراجع العلمية الموثقة أن الشذوذ سلوك اختياري، وكذب ادعاء أن الشاذ غير مسؤول عن شذوذه ويرجع ذلك لجيناته.

بقية المنشور ص 66

ما وراء تهاوي ثقة الصهاينة بجيشهم؟

وقد تحولت مواقع التواصل الاجتماعي بالعبرية إلى مساحات للتندر على الجيش والسخرية من حرصه على تفسير إطلاق الصواريخ، أخيراً، من قطاع غزة على ساحل تل أبيب، بأن ذلك نتاج الأحوال الجوية، وأن أعطالاً فنية وراء انطلاق هذه الصواريخ! وقد رأى رواد مواقع التواصل الصهاينة أن هذه التبريرات تهدف بشكل أساس إلى تقديم مبرر لعدم الرد بشكل قوي على إطلاق الصواريخ.

ثقافة الكذب

لكن المستوى القيادي العسكري الصهيوني بات متشرباً لثقافة الكذب للتغطية على ضعف إنجازاته، ويشير الباحث الصهيوني «أودي ليبل» إلى أن مصداقية الجيش تهاوت وبلغت الحضيض بعد أن تبين كذب بيانات قيادة الجيش التي تحدثت عن نجاحها في استهداف مجمع أنفاق حركة «حماس» خلال حرب غزة الأخيرة، الذي أطلقت عليه مجمع «المترو»، وأن العملية أسفرت عن مقتل عدد كبير من قادة ونشطاء الحركة، وقد اضطرت قيادة الجيش للتراجع عن رواياتها والاعتراف بأن الهجوم الجوي غير المسبوق على مجمع الأنفاق أسفر عن مقتل عدد قليل جداً من العناصر.

ومع أن الكثير من وسائل الإعلام الصهيونية كانت تتلقف رواية الجيش وتتعاطى معها كمسلّمات، فإنه بعد أن تبين تعمُّد القيادة العسكرية الكذب حتى في بياناتها التي تقدمها للمراسلين العسكريين حدثت حالة من عدم الثقة ببيانات الجيش؛ وهو ما تبدى في انسحاب «ينيف فيكوفيتش»، المراسل العسكري لصحيفة «هآرتس»، بشكل تظاهري من مؤتمر صحفي للناطق بلسان الجيش؛ احتجاجاً على ما وصفه بتعمد الناطق «تقديم بيانات كاذبة» عن مسار الحرب الأخيرة على القطاع.

ولا ينعكس استشراء ثقافة الكذب فقط في البيانات المتعلقة بالمسار العسكري، بل بكل المناحي التي تخص الجيش، فعلى سبيل المثال؛ قدم الجيش بيانات كاذبة حول ملابسات غرق عدد من الطائرات المقاتلة العام الماضي أثناء تواجدها في أحد المطارات العسكرية في النقب المحتل بسبب سيول اجتاحت المنطقة.

وحتى لا يتم الكشف عن عدم مصداقية بيانات الجيش، فإن رئيس هيئة الأركان «كوخافي» يتملص منذ 3 سنوات من تقديم تقرير حول واقع قوات الاحتياط ومدى أهليتها لخوض المعارك، على الرغم من أن القانون يلزم قيادة الجيش بتقديم مثل هذا التقرير سنوياً للحكومة وللجنة الخارجية والأمن التابعة للبرلمان.

زيادة مخصصات الجنرالات

وإلى جانب ذلك، فإن هناك حالة رفض شعبي متزايد من حرص رئيس الأركان على زيادة رواتب ومخصصات التقاعد للجنرالات وكبار القادة بشكل كبير، في الوقت الذي تمر فيه «إسرائيل» بأزمة اقتصادية كبيرة، وبشكل يفوق كثيراً نسبة زيادة مرتبات ومخصصات صغار الضباط والجنود.

ومما وفر بيئة للسخرية الاجتماعية من الجيش، إعلان رئيس الأركان عكوفه على تأليف كتاب حول «مبادئ القيادة العسكرية»، فإلى جانب السخرية من الإعلان، فإنه وُوجه بحملة انتقادات كبيرة؛ حيث تساءل الكثيرون حول كيفية تمكن «كوخافي» من توفير الوقت اللازم للانشغال بتأليف كتب في الوقت الذي تواجه «إسرائيل» هذا الكم الكبير من التحديات العسكرية والإستراتيجية، وفي ظل مظاهر الخلل الجلية في سلوك الجيش، وفي الوقت الذي لا يحرص القادة الكبار على ألا يكونوا قدوة للجنود.

لكن بغض النظر عن وجاهة الأسباب التي تسوغ تهاوي ثقة المجتمع الصهيوني الجيش وقيادته، فإنه لا يمكن تجاهل دور هذا المجتمع في دفع الجيش إلى أنماط السلوك التي تمت الإشارة إليها؛ فإن كان الجيش الصهيوني يحرص بشكل واضح على تجنب أي مسار يفضي إلى شن هجوم بري ضد قطاع غزة، فإنه يفعل ذلك لأن قيادته تعي أن المجتمع غير مستعد لتحمل تبعات أي مسار عسكري يمكن أن يفضي عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى والأسرى.

فقيادة الجيش تدرك أن شن عملية برية خلال أي حرب في الجنوب أو الشمال سيكون مرتبطاً بسقوط عدد كبير من القتلى والجرحى، ويمكن أن تسفر عن وقوع ضباط وجنود في الأسر؛ وهذا ما لا يمكن أن يقبله المجتمع.

قصارى القول: هناك أسباب وجيهة تفسر تهاوي ثقة المجتمع الصهيوني بجيشه، لكن هذا الجيش في النهاية يعكس الروح السائدة في المجتمع الذي خفتت فيه الروح الصهيونية ولا يبدي استعداداً للتضحية فيرمي الجيش بما يعاني منه.■

ما وراء تهاوي ثقة الصهاينة بجيشهم؟

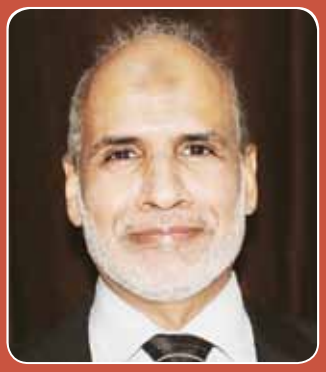

د. صالح النعامي
كاتب فلسطيني متخصص في الشأن الصهيوني

دلت استطلاعات الرأي المتواترة، أخيراً، على حدوث تراجع كبير في ثقة المجتمع الصهيوني بجيشه؛ الذي كان يعد محور الإجماع الوحيد الذي يلتف الصهاينة حوله، وقد بلغ معدل هبوط مستوى الثقة الجماهيرية بالجيش الصهيوني حوالي 20%، مقارنة بما كانت عليه الأمور قبل 5 أعوام.

ويرى مراقبون في «تل أبيب» أن هناك عدة أسباب وراء تهاوي ثقة المجتمع الصهيوني بجيشه، وتشمل: ضعف إنجازاته العسكرية، وحذَر قيادته من شن عمليات عسكرية تنطوي على مخاطر، وثقافة الكذب المستشرية، وحرص الجنرالات وكبار القادة على تحسين مكاسبهم المادية على حساب الجنود في الخدمة الإجبارية.

ويعد تواضع الإنجازات العسكرية في الحرب الأخيرة على غزة أحد أهم الأسباب وراء تهاوي الدعم الشعبي الصهيوني لجيش الاحتلال، فقد كانت هذه الحرب الشعرة التي قصمت ظهر البعير، بالنسبة لكثير من الصهاينة؛ حيث كانت الحرب الأولى التي تندلع في عهد قائد الجيش «أفيف كوخافي»، الذي تبنى خطاً دعائياً منذ أن تولى المنصب ينصب على وجوب تحقيق «الحسم والانتصار» في الحروب والمواجهات؛ بل إنه وضع خطة عسكرية خاصة به أطلق عليها «تنوفا» تقوم على وجوب بناء القوة العسكرية على كل المستويات من أجل تحقيق هذا الهدف، ومن أجل تحقيق هذا الهدف أقنع الحكومة بزيادة الموازنات المخصصة للجيش لتمكينه من الإعداد والاستعداد لتحقيق النصر والحسم.

وقد رأى الكثير من النخب في «كوخافي» بُعيد توليه المنصب القائد الذي تبحث عنه «إسرائيل» منذ سنين طويلة، وهناك من سماه «رئيس أركان الانتصار»، لكن هذه الصورة سرعان ما تهشمت بُعيد الحرب الأخيرة؛ فرغم أن «حماس» تعد من ناحية موازين القوى والمقدرات العسكرية والإمكانات الحربية حلقة العداء الأضعف، كما تؤكد محافل التقدير الإستراتيجي في «تل أبيب»، فإن المفاجأة تمثلت في فشل جيش الاحتلال مرة أخرى في إحراز انتصار، تماماً كما حدث في الحروب الثلاث التي سبقتها.

فعلى الرغم من أن الجيش استخدم قوة نيران هائلة، ولم يتردد في الإغارة على قطاع غزة بواسطة طائرات «إف 35» الإستراتيجية، التي ادعى أنه اشتراها من الولايات المتحدة بهدف مهاجمة إيران؛ فإنه فشل في إجبار المقاومة على وقف إطلاق الصواريخ التي غطت جميع مناطق «إسرائيل» بشكل أدى إلى إغلاق المجال الجوي أمام الطائرات المتجهة والمغادرة للكيان.

وفي ثلاثة مقالات نشرت في صحف «هآرتس»، و«يديعوت أحرونوت»، و«يسرائيل هيوم»، أجمع المعلقان العسكريان الصهيونيان «يوسي يهشوع»، و«عاموس هارئيل»، بالإضافة للباحث «أودي ليبل»، على أن نتائج الحرب على غزة كانت أحد أهم الأسباب وراء التراجع الكبير على ثقة المجتمع الصهيوني بالجيش؛ لأن هذه النتائج كرّست البون الشاسع بين مستوى توقعات الجمهور من الجيش والإنجازات التي حققها في النهاية على أرض الواقع.

وحسب الثلاثة، فإن المجتمع الصهيوني الذي كان دائماً ما يبدي دعماً غير متحفظ للجيش، بات يشعر بمرارة كبيرة بسبب تواضع الأداء ومحدودية الإنجازات التي يحققها، رغم المزايا المادية التي يحظى بها الجنرالات والقادة، ورغم الاستثمارات الهائلة في مجال بناء القوة العسكرية والاستخبارية.

إلى جانب ذلك، بدا واضحاً لقطاعات واسعة من المجتمع الصهيوني أن قيادة الجيش لم تعد معنية بالمبادرة بشن حرب أو مواجهة عسكرية على الأعداء؛ وهو ما جعلها تصدر التبريرات لتسويغ موقفها بشكل مبتذل.

البقية ص 65